الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البحث الدلالي عند ابن جني. كتاب المحتسب أنموذجا.

دراسة وصفية تحليلية

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- بن حنيش صارة
- حمادي ماسة

إشراف الأستاذة:

مهلول سميرة

السنة الجامعية: 2020/2019

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البحث الدلالي عند ابن جني. كتاب المحتسب أنموذجا.

دراسة وصفية تحليلية

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- بن حنيش صارة
- حمادي ماسة

إشراف الأستاذة:

مهلول سميرة

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير وعرفـــان

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم الآية 7]

الحمد لله الذي منّ علينا بفضله، وأعاننا بلطفه وتوفيقه على إنجاز هذا العمل المتواضع.

وإذا كان الشكر حقا يعبّر ولو بجزء عن مدى الامتنان والتقدير.

فسيكون إلى التي أنارت درب حياتنا بحنانها وحبها الفياض.

إلى التي ننحني لها بكل فخر واعتزاز، لنيل رضاها " **الوالدة** "أطال الله في عمرها.

وإلى الذي أفنى عمره وجاهد من أجلي تعليمنا.

إلى من علّمنا العطاء دون انتظار... " **الوالد** "أدامك الله وحفظك.

ويسرنا في هذا المقام أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذة "**معلول**"

التي تحمّلت مسؤولية الإشراف على بحثنا، وأفادتنا بملاحظاتها وتوجيهاتها.

كما لا يفوتنا أن نقدم الشكر إلى أساتذتنا الأجلاّء بقسم اللغة والأدب العربي

على كل ما قدّموه من إرشادٍ وتوجيهٍ في مسارنا الدراسي.

وجزى الله الجميع خير جزاء.

حارة وماسة

مقدمة

بسم الله والحمد لله نحمده ونشكره، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلي يوم الدين، وبعد:

فاللّغة العربية مهد اللغات، لغة القرآن الكريم، كما قال سبحانه:{إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا}[يوسف الآية 2]، صانعة بألفاظها صور البديع والبيان، ووسيلة للإفصاح عن المشاعر والأحاسيس، ونظرا لأهميتها سعى العديد من العلماء لدراستها، فلم يتركوا فيها صغيرة ولا كبيرة إلاّ بحثوها ووضّحوها.

وقد تولّد عن هذا الإهتمام الكبير باللّغة العربية، إنجاب حقول وعلوم لها: كعلم النحو وعلم الصرف، وعلم الدلالة، الذي إتخذ "**المعنى**" كركن أساسي له، وقد تطرّق الكثير من علماء اللغة القدامى إلى هذه المسألة، . أي مسألة المعنى .، وتعمّقوا في دراستها، وإستطاعوا في نهاية الأمر وضع مؤلّفات لغوية تتعلق بالألفاظ ومعانيها، ومن أبرز العلماء المساهمين في ذلك: **الجاحظ، سيبويه، الجرجاني، وابن جني...** وغيرهم، كلّهم خدموا العربية وصانوا قواعدها.

كما إعتنوا بالنّص القرآني رغبة منهم في فهم كلام المولى عزّ وجل والتدبّر في معانيه، مع مراعاة سلامة النطق الصحيح، لإعتباره المصدر الموثوق به للعلوم بشتّى أنواعها، وقد خُلق له علم خاص به يدعى "**علم القراءات القرآنية**"، وهذه القراءات بدورها تعدّدت وإختلفت؛ منها المتواترة ومنها الشاذّة، وقد كثر الحديث عنها، وكثرت الإنجازات والمؤلّفات حولها، وكان أوّل من ألّف في الشواذ هو " **أبو الفتح عثمان ابن جني** "، وسمّاه " **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** "؛ فتناولها بالشّرح والتعليق، حتى أصبح مؤلفه هذا أول جهد في ميدان الاحتجاج للشواذ.

وبناء على هذا الأساس جاء بحثنا الموسوم "**البحث الدلالي عند ابن جني . كتاب المحتسب أنموذجا .** ليقف على إسهامات " **ابن جني** " في الدرس الدلالي، وربطها بالقراءات الشاذّة، وإبراز أهم القضايا التي طرحها، دون إغفال آراء سابقيه.

ولقد اِخترنا البحث في هذا الكتاب، رغم أنه في البداية كان لدينا رغبة في تناول موضوع لغوي يخصّ النحو العربي، وبالتحديد خاصية الإعراب أو التقديم والتأخير، غير أنّ مشرفتنا اِقترحت علينا الموضوع فأخذنا برأيها، ومما دفعنا إلى دراسته أيضا أهمية كتاب "**المحتسب**"، لِاعتباره مدوّنة قديمة وأفضل نموذج يمثّل القراءات الشاذّة.

وحاولنا من خلال هذا البحث الإجابة عن عدّة تساؤلات راودتنا، لعل أبرزها:

- هل للدلالة أصول في التراث العربي القديم؟ أم هي وليدة الدرس اللساني الحديث؟.
- ماهي رؤية " **ابن جني** " للدلالة؟ وما مدى قوة الاِرتباط بينها وبين القراءات الشاذة؟.
- ما هي الظواهر الدلالية التي انفرد " **أبو الفتح** " بها في " **المحتسب** "؟

ومثّلت هذه الأسئلة المطروحة إشكالية بحثنا، وللإجابة عنها اِقتضت طبيعة الدراسة، اتّباع المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد القراءات الشاذة في كتاب "**ابن جني**"، ومن ثمة تصنيفها.

ومن أجل كلّ هذا وضعنا خطّة يهتدي بها البحث، فقمنا بتقسيمه إلى ثلاثة فصول (فصلان نظريان، والثالث تطبيقي) مسبوقة بمقدمة وتليها خاتمة.

خصّصنا الفصل الأول والذي عنوناه بـــ: "**مدخل إلى علم الدلالة؛ النشأة والمفهوم**"؛ للبحث في مفهوم الدلالة كمصطلح وكعلم، مع تحديد حدود النشأة، كما ارتأينا ذكر بعض جهود القدامى، وبالأخص "**ابن جني**".

وانفرد الفصل الثاني الموسوم بـــ: "**القراءات القرآنية الشاذة؛ أنواعها وضوابطها**"، بالحديث عن القراءات القرآنية عامة، لنركّز لاحقا على القسم الشاذّ منها، ونستعرض بعض الإنجازات المحقّقة في الميدان، كما بحثنا عن كيفية الاحتجاج بالشواذ في "**المحتسب**".

أمّا الفصل الأخير فتضمّن دراسة تطبيقية للظواهر الدلالية، من خلال كتاب "**المحتسب**" "**لابن جني**"، لكن قبل هذا، قدّمنا لمحة عن هذا المصنّف باعتباره أعظم ما أنجز في تاريخ الشذوذ على مدى العصور والأزمان.

وأنهينا البحث بخاتمة لخصّنا فيها أهم النتائج التي توصّلنا إليها.

وقد استعنّا من أجل إتمام هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع، وتصدّر القائمة القرآن الكريم، وكتب "**ابن جني**": "**الخصائص**"، و" **سر صناعة الإعراب** "، و" **المحتسب** "، وهو محل دراستنا، إضافة إلى المعاجم اللغوية، وكتب أخرى حول علم الدلالة، والقراءات القرآنية الشاذّة.

وكالعادة لا ينسى أيّ باحث علمي، من ذكر الصعوبات التي تعترضه أثناء البحث، ونحن بدورنا شاءت لنا الأقدار أن نطوي صفحة مسارنا الجامعي في ظروف اِستثنائية صادفت ظهور وباء كورونا، وحسب رأينا فالصعوبات هي التي تجعل الباحث أو الطالب يحسّ بمتعة البحث العلمي.

وفي الختام، لابدّ من كلمة شكر وعرفان، نزجها بحقٍّ أستاذتنا المشرفة: " **سميرة مهلول**"، فإليها يرجع الفضل في رعاية هذا البحث، منذ أن كان فكرة إلى أن صار مشروعا في يومنا هذا، فلها منّا كل الودّ والتقدير.

ونسأل الله تعالى أن يكون جهدنا هذا نافعا لغيرنا، ولو بالقليل.

الفصل الأول

مدخل إلى علم الدلالة، النشأة والمفهوم

1-نشـــأة علم الدلالـــة والتعريف به.

1-1-النشأة.

1-2-مفهوم علم الدلالة.

2- الدلالـــة عند العرب القدامـــى.

3- أنواع الدلالات عـــند إبن جـــني.

خلّف الفكر اللغوي العربي علومًا ونظرياتٍ لغوية ونحوية ودلالية؛ نتيجة اِجتهاد أصحاب الاختصاص في إثبات أصالة التراث العربي، ولعلّ قضية الدلالة أكثرها حظّا لما لاقته من عناية فائقة، فقد كانت محلّ اِهتمام وبحث جهات مختلفة من نحويين وبلاغيين وفلاسفة ومناطقة...وغيرهم، حتّى بلغت من النّضج والانتشار مبلغا وفيرا، فصار لها علما مستقلا له مصطلحاته ومفاهيمه وأسسه الخاصة.

ونظرا للأهمية التي حظي بها علم الدلالة؛ أردنا البحث بين ثناياه، فحاولنا في هذا الفصل الإلمام ببعض جوانب الموضوع، بداية بنشأة هذا العلم ومفهومه اللغوي والاصطلاحي، إلى جانب إسهامات العرب القدامى عموما و"**اِبن جني**" خصوصا.

1- نشـــأة علم الدلالـــة والتعريف به:

1-1- النشـــأة:

من المعروف أنّ علم الدلالة حديث النشأة، ولكن هذا لا ينفي وجود جذور له في القديم، فطالما شغلت نشأة اللغة بال الباحثين والدارسين، لاعتبارها وسيلة اِتصال وتواصل، ومن ثمّ فإنّ اللغة لن تحقّق هذه الوظيفة إلاّ من خلال ما تحمله من مفردات مشبّعة بمعاني ودلالات واضحة المعالم.

ولقد برزت ملامح هذا العلم منذ عصور مبكّرة، وإن لم يسمّ بهذا الاسم، وإنّما ظهر على شكل ما يُعرف بقضية "**اللفظ والمعنى**"، فكـــل خطوة رُسمت وفكرة دُوّنت قديمـــا مفـــادها الوصول إلى تحقيق المعنى، ولعلّ من الأوائل ممّنْ بحثوا في هذه القضية اللغوية "اليونان"، إذ لفتت انتباههم العلاقة الناشئة بين اللفظ والدلالة، فـأخذوا يفتـــرضون هل تلك العـــــلاقة

طبيعية أم عرفية؟ فرأى "**أفلاطون**" وأستاذه "**سقراط**" أنّ العلاقة بين الدال ومـــدلوله طبيعية، عكس "أرسطو" الذي قال عنها أنّها اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس[1].

كما وضع الهنود بصمتهم في هذا المجال، حيث أقدموا على شرح المفردات الصّعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة، وتطرّقوا إلى موضوعات عديدة كالبحث عن ماهية اللّغة، وتدوين اختلاف وجهات النظر حول نشأتها؛ أهي إلهية أم ابتكار من ابتكارات البشر؟ والعلاقة بين اللفظ والمعنى وأنواع الدلالات، كما أنّهم ناقشوا موضوعات يعترف بها علم اللغة الحديث، كالترادف والمشترك اللفظي، وأهمية السياق في توضيح المعنى، ودور القياس والمجاز في تغيير المعنى[2].

والعرب شأنهم شأن هذه الأمم، بدأ البحث في دلالة الألفاظ عندهم منذ أوّل محاولة لتفسير القرآن الكريم والتّدقيق في معانيه، "ولذلك تأثّرت العلوم اللغوية بعلوم الدّين وخضعت لتوجيهاتها، ولقد تفاعلت الدراسات اللغوية مع الدراسات الفقهية، وبنى اللغويون أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث والقراءات"[3]، كما تطرّقوا إلى كل ما له صلة بمباحث علم الدلالة فتنوّعت اهتماماتهم بتنوّع تخصّصاتهم، ولابأس أنْ نذكر بعض إسهامات اللغويين والتي تتمثّل فيما يأتي[4]:

- محاولة "**ابن فارس الرائدة**"– في معجمه **المقاييس**– ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
- محاولة "**الزمخشري**" الناجحة – في معجمه **أساس البلاغة**– التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

---

[1]– ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط.3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م، ص.63.

[2]– ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (د. ط)، عالم الكتب، القاهرة، ص، ص، ص. 18، 19، 20.

[3]– منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، (د. ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص، ص.18، 19.

[4]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص، ص.20، 21.

- محاولة "**ابن جني**" ربط تقلّبات المادة الممكنة بمعنى واحد.
- وأشهر الكتب التي ساد فيها الطّابع الدلالي "**المقاييس**" و"**الصاحبي في فقه اللّغة لـ "ابن فارس**"، "**الخصائص**" **لـ** "**ابن جني**"، و"**المزهر**" **لـ** "**السيوطي**".....إلخ.

ولم يقتصر علم الدلالة على اللغويين وحدهم، بل شاركهم في تأسيسه البلاغيون وأهل الأصول وغيرهم، ونتيجة هذا الاشتراك ظهرت آراء ونظريات كثيرة فيما يتعلق بالمعنى من حيث تحصيله ودراسته.

ولحقت المحاولات الأولى لبيان معاني القرآن الكريم، مرحلة التأليف الجزئي في المباحث الدّلالية، ألا وهي مرحلة تأليف الرسائل اللغوية في العربية، والتي تمثّل بحق مبحثا من مباحث علم الدّلالة بالمفهوم الحديث"[1].

كما وضعت المعاجم وكان الدافع وراء ذلك الحفاظ على القرآن واللغة التي نزل بها، لذلك انكبّ الرواة واللغويون على جمع مفردات اللغة، وذلك عبر مراحل وهي[2]:

1-**المرحلة الأولى**: جمع الكلمات حيثما اِتّفقت، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اِسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، فيدوّن ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلاّ السماع.

[1]- نادية معاتقي، إسهام الدّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015، ص.11.

[2]- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدّلالة والمعجم، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص.148.

1-**المرحلة الثانية:** جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، وتوّجت هذه المرحلة بكتبٍ أُلّفت في الموضوع الواحد، فألّف "**أبو زيد الأنصاري**" كتبًا في "**المطر**" و"**اللبن**"، وألّف "**الأصمعي**" كتبا في "**النخل والكرم**"، و"**الشاء**" و"**الإبل**"، و"**الخيل**"، و"**أسماء الوحوش**" و"**النبات والشجر**"...إلخ.

2-**المرحلة الثالثة:** وضع معجم يشمل كلّ الكلمات العربية على نمط خاص، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة، وأوّل من وضع هذا المعجم هو "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" والموسوم "**معجم العين**".

نخرج بالنظر إلى هذه المراحل بفكرة أنّ الدراسات اللغوية القديمة بحثت عن قضية المعنى، ولكن مفردات اللّغة جُمعت أولا جمعًا عشوائيا، دون مراعاة أيّ تصنيف أو ترتيب فيما بعد، وكخطوة ثانية وتوضيحية للتي سبقتها، جُمعت الألفاظ وفق مواضيع محدّدة، بمعنى أنّ موضوع معيّن يحتوى كلّ الكلمات التي تخصّه وتشير إلى معناه المتناول، وصولا إلى مرحلة إنشاء معاجم مستقّلة خاضعة لنظام منهجي، والرّيادة المعجمية كانت من نصيب "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" بمؤلّفه "**العين**".

ومن الواضح أنّ المعجم العربي وراءه غاية يُراد تحقيقها، إذْ بوادر بزوغه تؤكّد أنّ الدّافع الدّيني أقوى دافع للتطور اللّغوي الحاصل في الساحة العربية، بمجرد نزول القرآن الكريم تهاطلت أعمال لغوية واحدة تلوى الأخرى لحماية هذا الكتاب المعجز، كما ظهر نوعان من المعاجم، كما هو موضّح في الشكل الآتي[1]:

[1]-يُنظر أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط.6، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ص.177.

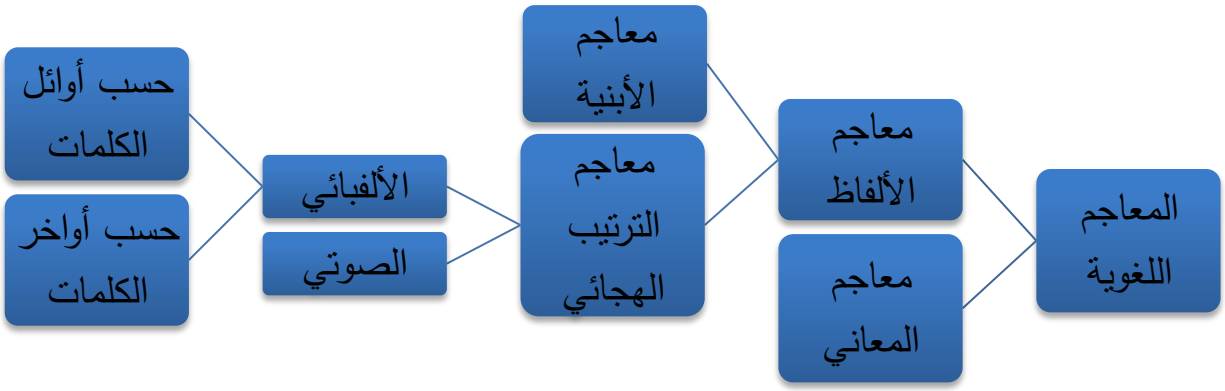

نعثر بالتّمعن في الشكل أعلاه على لمسة فنّية علمية على إثرها خُلقت هذه المؤلفات وتطوّرت، فالعرب نتيجة اِهتمامهم المبالغ بلغتهم، تصدّوا لكلّ العراقيل التي تزعزع قواعدها وأسسها، فتفنّنوا في التأليف، ولم يسيروا جميعهم على نظام واحد أثناء ترتيب مفردات اللّغة العربيّة، إنّما كلّ فئة ومنهجها الخاص.

فهناك من اِختار الجانب الصوتي، إيمانا بقدرة الصوت على التمييز بين معاني الألفاظ، أو الجانب الأبجدي، آخذًا بعين الاعتبار الحرف الأول أو الأخير، ويطلق عليها معاجم الألفاظ ومن روادها: "**الفراهيدي**"، "**اِبن فارس**"، "**الجوهري**"... إلخ، والصنف الثاني هي معاجم المعاني تقوم على أساس المعنى، والمفردات لا تُرتّب فيها، بل تُجمع وتُدرج داخل موضوع معيّن، ويعدّ "**اِبن سيده**" أبرز من سار على هذا النهج عند تأليفه لمعجمه "**المخصّص**".

ووصل البحث الدلالي بعد كلّ هذه المراحل إلى درجة من الدّقة والـــوضوح، ولـــكن البحوث تواصلت وتجاوزت الدلالة، فتوزّعت ضمن اِهتمامات لغوية أخرى كالبلاغية أو النحوية أو ما شابه، في حين كان المعنى هو الهدف المقصود، ومثل هذه الإنجازات والجهـــود تُدرج في خزانة الثروة اللّغوية العربية للعلماء القدامى.

واستطاع علم الدلالة أنْ يرسم معالمه، لتتجسّد في الواقع مع ظهور الدرس اللغوي الحديث، "وقد وضع الأسس الأولى لهذا العلم العالم اللغوي الفرنسي "**ميشال بريـــــال Michel Bréal**" في مقال نشره عام (1883م)، ذكر فيه لأوّل مرة مصطلح (Sémantique) وإليه يرجع الفضل في تحديد مهام هذا العلم، وقد اِستبعد الجوانب التي تعنى بتتبّع اللّغة في أطوار زمنية مختلفة، واكتفى برصد الظاهرة – ظاهرة المعنى– في فترة زمنية محدّدة، وفي ضوء ذلك أصبح علم الدّلالة علمًا يدرس المعنى بشكل منظّم وممنهج"[1].

لقد اِطّلع "**بريـــــــال**" على الأبحاث اللّـــغوية للقدامـــى وجهود من سبقـــه من علماء اللّغة واللّسان واستعان بهم، حتى وصل إلى إعلان علم الدلالة علمًـــا مستقـــلاً بذاته، له نظرياته وقضاياه التي تميّزه عن سواه من العلوم اللّغـــوية، ورغم هذا التطوّر إلاّ أنّ "الدراسات الدلالية أغفلت جهود الدلاليين العرب القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم"[2]، إلاّ أنّ التاريخ لم يغفل تلك المساهمات العربية في مجال البحث اللغوي، بل صان الأمانة وحفظها، فأغلب أعمال اللغويين القدامى أمثال: "**سيبويه**"، "**الجاحظ**"، "**اِبنجني**" وغيرهم تُحسب من الأعمدة الأساسية لتشييد التراث العربي بأصالة، إضافة إلى كون مسالك البحث عن الدراسات اللّغوية الحديثة تفرض على الباحث العلمي الرجوع إلى التاريخ والتنقيب عن جذورها هناك، باعتباره الأصل، فلولا الماضي لمّا تشكل الحاضر بتاتًا.

إنّ كلّ الاجتهادات اللغوية وغير اللغوية، العربية وغير العربية، مهّدت كلّ الطرق لعلم اللّغة، وضبطت القواعد للدرس الدّلالي، فخلق لنفسه وجودًا مستقلاً، ليُعدّ في الأخير فرعًا من فروع علم اللّغة ومستوى من مستويات التحليل اللّساني، شأنه في ذلك شأن الأصوات، الصرف والتركيب.

---

[1]– نادية معاتقي، إسهام الدّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة ، ص. 12.

[2]– فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، ط.2، دار الفكر، دمشق، 1417هـ 1996م، ص.8.

1-2-مفهوم علم الدّلالـــــــة:

_ الدّلالة في اللغة:

_قال "**ابن فارس**": " (دل) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اِضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دلَلْـتُ فلانـا على الطريق، والدليل: الأمـارة في الشيء وهو بين الدَّلالة والدِّلالة"[1].

_أما "**الجوهـري**" فيقول: " (دلل) الدّليل: ما يُستدلُّ به. والدَّليـلُ: الدالُّ. وقد دلَّه على الطريق يدلُّـه دَلالـةً ودِلالـةً ودُلولَـةً"[2].

_ وأما "**الفيروز آبادي**" في قاموسه "**المحيـط**" قال: "ودَلّـه عليه دلالـةً، ويُثلَّـثُ، ودُلولـة، فاندلَّ: سدَّده إليه"[3].

يتّضح من خلال هذه التعريفـــــات اللّغوية السابقة، أنّ مفهوم الدَّلالة يتنوّع من باحث لآخر، إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من صياغة مفهوم شـــامل ومحدّد للدَّلالـة، فهي بكل بساطة تدور حول معنى محوري قائم على الدليل والاستدلال والإرشـــاد بإشارات لغوية كانت أو غير لغوية

---

[1]-أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللّغة، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.2، (د. ط)، دار الفكر، 1399هـ . 1979م، ص.259.

[2]- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج.4، ط.4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ . 1987م، ص.1698.

[3]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح. محمّد نعيم العرقسوسي، ط.8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1426هـ . 2005م، ص.1000.

- **الدّلالة في الإِصطلاح:**

يعرّفها "**الشريف الجرجاني**": "الدلالة هي كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدّال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النّص"[1].

حرص "**الجرجاني**" بتقديمه لهذا المفهوم الدقيق للدلالة على الإشارة إلى عنصرين مهمّين في تشكيل الدّلالة، وهما: الدّال والمدلول، ومن هذا المنطلق قسّم الدلالة إلى لفظية وغير لفظية، كما ذكر الدلالات المعمول بها عند الأصوليين.

كانت دراسة الدلالة مظهرا من مظاهر اللغة، وكان الاهتمام بها متجذّرا في التاريخ، وازداد هذا الاهتمام في الآونة الأخيرة نتيجة تطور الدرس اللغوي وظهور علم الدلالة، الذي عرّفه المحدثون بأنّه "دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى"[2].

"وعلم الدلالة في أبسط تعريفاته هو دراسة المعنى، والكلمة(Sémantique) المشتقة من الكلمة اليونانية. (Semaino)"دلّ على"، المتولدة هي الأخرى من الكلمة (Sema)أو"العلامة"، هي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل(Sens)أو "المعنى""[3].

والمتأمّل في هذه التعريفات المقدّمة لعلم الدلالة، يدرك كـــامل الإدراك أنّ مهامه منصبّة حول اكتشـــاف المعنى في التحليل اللغوي، غير أنّه يتجـــاوز ذلك إلى أمور غير لغوية، كون

---

[1]– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح. جماعة من العلماء، ط.1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ . 1983م، ص.104.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص.11.

[3]– فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، ط.1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1412هـ . 1991م، ص.7.

الواقع يفرض على الفرد القيام بممارسات خارج نطاق اللغة، حتى يعبّر عن معاني المفردات المستخدمة في حياته اليومية، فجوهر علم الدلالة يتحدّد من خلال معرفة روح اللفظ.

2-الدلالـــــة عند العرب القدامـــــى:

تكاد تتّفق أغلب آراء الدارسين أنّ الدراسات القديمة هي اللبنات الأساسية لقيام العلوم اللغوية الحديثة، بالجهود المبذولة صار للغة العربية رصيد ثري، قادرة بفضله على اِكتساح جميع ميادين المعرفة، وعلم الدلالة لم ينطلق من العدم، بل اِعتمد على جهود العلماء العرب القدامى الذين أصّلوا له، أمثال: "**الجاحظ، سيبويه، الجرجاني**...وغيرهم"، ولابأس أن نشير إلى إسهاماتهم الهامة في هذا الميدان.

1-أبـــو عثمـــان الجاحـــظ (ت 255هـ):

دُوِّن اِسم "**الجاحظ**" في مجالات لغوية شتّى، خاصة في علم البلاغة، ذلك من خلال جميع مؤلفاته وبالأخصّ كتابيه "**البيان والتبيين**" و"**الحيـوان**"، إذ عالج فيها عدّة قضايا ذات صلة بالدلالة، كما أبان عن قيمة اللغة العربية الجمالية، وفي ضوء الاطّلاع على مؤلّفاته يمكن تدوين النقاط الآتية:

اِنطلق "**الجاحظ**" في إثبات توجّهه الدلالي من البحث في نشأة اللّغة، أهي فطـــرية ووحي من الله تعالى أم اِصطلاحية؟ وحسب رأيه لو كانت اللّغة في الحقيقة إلهامية لمّا اِستطـــــــاع الإنسان إحـــــداث تغييرات فيها، "فـــإذا كانت العرب يشتقّون كلامًا من كلامهم وأسماءً من أسمائهم، واللغة عاريّة في أيديهم ممّن خلقهم ومكّنهم وألهمهم وعلّمهم، وكـــان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس، فالذي أعـــارهم هذه النّعمة أحقُّ بالاشتقـــاق وأوجبُ طاعة. وكما أنّ له أنْ يبتدئ الأسماء؛ فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أحبّ.. قد سمّى كتـــابه المنزّل قرآنا، وهـذا الاسم لم

يكنْ حتى كان"[1]، فالفرد حرّ التصرّف في لغته يضع الألفـــاظ بتسلسل حتّى ينتظم المعنـــــى، ويخترع المفردات إن اِستدعى الأمر.

- أشار إلى عيوب النطق وعرقلتها لمخارج الأصوات، فعدّها وفصّل فيها، وهي الحبسة واللثغة واللكنة واللحن.
- خصّص بابا في كتابه "**البيان والتبيين**" سمّاه "**باب البيان**"، اِستهله بالحديث عن المعاني والألفاظ ودورهما في حصول الإفهام أثناء التواصل، فقال: "المعانـي القائمة في صدور الناس المتصوّرة في أذهانهم، والمتخلّجـة في نفوسهم، والمتّصلـة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّـة، وبعيدةٌ وحشيـة... وإنّما يُحيى تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واِستعمالهم إيّاها"[2]، حيث أولى كامل اِهتمامه للفظ، لأنّ المعنى يترسّخ في الذهن، ويبقى مجرّد فكرة لم تتجسّد معالمه بعد، فالمعنى خفيّ ومستتر في نفس المتكلم والسامع غير مدرك له، لكن لحظة إطلاق اللفظ تتّضح الصورة وتكتمل الفكرة.
- صاغ تعريفا شاملا للبيان، فهو "اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يُفضى السّامعُ إلى حقيقته، ويهجـم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليـل؛ لأنّ مدار الأمـر والغاية التي إليها يجرى القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيءٍ بلغت الإفهام وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيـان في ذلك الموضع"3، فالبيـان هو الذي يقود إلى الكشف عن المعنى الخفي، بالاستعانة باللّغـة، والتي هي جسرٌ رابط بين اللّفظ ومعناه؛ تُقـرّب البعيـد، وتزيل الستار عن الغامض والمجهول، بآليات تابعة لها لفظيـة أو غير لفظيـة خارج ميدان اللّغــة، حتى تحضر في الأخير الدلالـة، فيتحقّق الإفهام لدى المتكلم والفهم لـدى السامـع.

---

[1]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.1، ط.2، الناشر مصطفى البابي الحلبي، 1384هـ . 1965م، ص.348.

[2]–الجاحظ، البيان والتبيين، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.1، ط.7، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1418هـ . 1998م، ص.75.

[3]– المرجع نفسه، ص.76.

• كما أنّ فكرة* لكـل مقـــامٍ مقـــالٍ* لم تمر عليه مرور الكرام، إذْ تعتبر أهم مبدأ تطرق إليه "**الجاحـــظ**"، كما أنّها تعبّر عن شيءٍ واحدٍ لا غيره، وهو ميلـه الشديد إلى السياق أو المقام، وهذا الأمر بالتحديد جعله ينصرف إلى إحصاء خمسة أنواع من الدلالات[1]، موضّحة في الشكل الآتي:

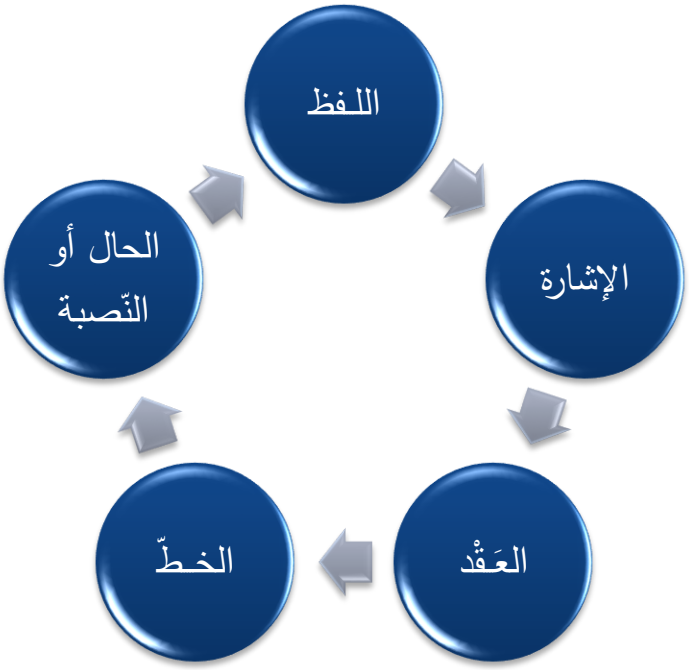

وبعد ذلك تناول تلك الدلالات بشيء من التفصيل، واللغز من وراء هذا التقسيم يظل مجهولا.

كما حرص "**الجاحـــظ**" على تناول مباحثٍ دلاليةٍ، جملة وتفصيلا، فكان حسّـه المرهف ووعيه الدلالي واضحا في أغلب محطاته اللّغوية، فإشاراته للدلالة والمعنى كانت متفرّقة بين مؤلفاته، وخدمته للّغة العربية عظيمة وجليلة، إذ تعتبره معظم الدّراسات اللّغوية القديمة والحديثة مصدرا لا يشكّ في صحّته بتاتـــا.

[1]– يُنظر المرجع السابق، الصفحة السابقة.

2-سيبـــويـــــــــه (ت 180هـ):

اِقترن اِسم "**سيبويه**"، أو المدعو "**إمـام النـحاة**" في التراث العربي، بحصيلة من الإنجازات في علوم اللّغة عامة وفي علم النّحو خاصة، عن طريق أشهر كتبه وهو "**الكـــــتاب**"؛ الموسوعة اللّغوية البارزة في النحو العربي، إلاّ أنّه يحمل في كيانه جعبةً من الأفكار الدّلالية، اِجتهد بتحصيلها، فنال بِاستحقـاق درجة من بين الأوائل المهتمين بالبحث الدّلالـــي، وأهم ما طرحه في هذا الشـــأن تقسيمه للألفاظ بحسب دلالتها إلى أقسام، في أول كتابـــه تحت عنوان "**هــذا بـاب اللـفظ للـمعانـي**"[1]:

- اِختلاف اللفظين لِاختلاف المعنيين، نحـو: جلس وذهب.
- اِختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحـو: ذهب واِنـطلق.
- اِتفاق اللفظين واِختلاف المعنيين، نحـو: لفظة "عَينٌ" وتوظيـفها في سياقات متنوعة، منها العين التي نُبصر بها، والعين من عيون الماء، عينُ القوم ويقصد بها الرئيس[2].

فاِهتمام "**سيبويـه**" بالمفردة وأنواعها واضح، ليس هذا وحسب، بل حرص على تبيان العلاقات القائمة بينها من مترادفٍ ومتضادٍ ومشتركٍ، كما منح اِمتيازات للمعنى، وخصّص بابا سمّاه "**هذا باب الاستـقامة من الكلام والإحالة**"[3]،أين صنّف الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب، وفسّر الأوجه التي يستقيم عليها المعنى وينتظم، الراجعة بدورها إلى التركيب وحسن تأليف الكلمات ببعضها البعض، وأشار "**سيبويه**" في هذا المقام إلى النّظمِ بطريقة غير مباشرة، وسعى إلى تقوية الصلة بين الألفاظ المنطوقة والمعنى المراد؛

---

[1]- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح. عبدالسلام محمد هارون، ج.1، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ . 1988م، ص.24.

[2]-يُنظر الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السِّيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح. أحمد حسن مهدلي، علي سيِّد علي، ج.1، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ . 2008م، ص. 177.

[3]-سيبويه، الكتاب، ج.1، ص.25.

فتوظيف المفردات في غير مواضعها الحقيقية ينتج عنه فساد المعنى، وبالتالي فشل الغاية التواصلية بين المخاطِب والمخاطَب – الفهم والإفهام–.

وتحدث "**سيبويه**" أيضا عن دلالة الحركة الإعرابية (الرفـع)، فهي فعّالة في تغيير المعنى، وتصنع فارقا على مستوى التركيب اللغوي، وهذا كله جمعه تحت باب "**هذا بابٌ يختار فيه الرفع**"[1]، وأتى بأمثلة تُدعّم رأيه، كما غاص في عمق النظام اللّغوي؛ فناقش ظاهرة (التقديم والتأخير)، إيمانا بأنّ مخالفة المفردات لمواقعها الأصلية وراءها غاية وأغراض ومقاصد، لذا قال: "وإن قدمت الاسم فهو عربيٌّ جيّد، كما كان ذلك عربيا جيّدا، وذلك قولك: زيدا ضربتُ، والاِهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواءٌ، مثله في ضرب زيدٌ عمرًا وضرب عمرًا زيدٌ"[2]، ووضّح "**سيبويه**" الفكرة في هذه الحالة، بحيث أنّ الدّاعي من وراء تقديم عنصر على آخر هو العناية والاِهتمام بذلك المقدّم.

كلّ هذا يتماشى والسياق اللّغوي؛ إمّا على مستوى المفردة أو التركيب، لينصرف "**إمام النحاة**" ويشير إلى وجود مناسبة بين الأوزان الصرفية ودلالتها (الدلالة الصرفية)، وأنّ مجمل الكلمات تتوحّد في المعنى الصرفي مع اِختلافٍ في المعنى المعجمي؛ ومن ذلك صيغ: الفَعَلاَن، الفِعالة، الفِعال والفُعالة...، وكل ما جاء على وزن (فَعَلان) يعبّر عن حركة أو عن اِضطراب اِستنادًا إلى قوله: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحدٍ حين تقاربت المعاني قولك: النّزوان، والنَّقران؛ وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واِهتزازه في اِرتفاع. ومثلُه العسلان والرَّتكان"[3]، ثم أضاف: "وقد جاءوا بالفعلان في أشياء تقاربت. وذلك: الطّوَفان، والدّوران،

[1]–المرجع السابق، ص، ص.361، 362،.

[2]–المرجع نفسه، ص، ص. 80، 81.

[3]–سيبويه، الكتاب، تح. عبدالسلام محمد هارون، ج.4، ط.2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ . 1982م، ص.14. ويُنظر صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، (د. ط)، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، (د. ت)، ص.51.

والجولان. شبّهوا هذا حيث كان تقلّبا وتصرُّفا بالغليان والغثيان، لأنّ الغليان أيضا تقلّبُ ما في القدر وتصرُّفه"[1].

وختامًا فإنّ آراء "**سيبويه**" تبرهن مدى اِهتمامه بالدلالة، فإلى جانب تخصّصه في الميدان النحوي، إلاّ أنّه دخل عالم البحث عن المعنى، مع مراعاة شروط تحقّقه كالمقام والسياق اللغوي...، فالنحو عنده لم يقتصر على الإعراب فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى اِتّخاذه وسيلة للكشف عن الدلالة، كما أنّه صاحب نظرة ثاقبة؛ إذْ سجّل أغلب الظواهر اللّغوية التي تطرأ على الكلام (النسيج اللغوي) من: تقديمٍ وتأخيرٍ، فصلٍ ووصلٍ، حذفٍ... وغيرها.

3-عبد القاهر الجرجاني (تـ 471هـ):

يعدّ" **الجرجاني**" من كبار أئمة العربية والبلاغة، لـمَّ شَّمل الأفكار المتناثرة في زوايا التراث العربي في كتابيه: "**دلائل الإعجاز**" و"**أسرار البلاغة**"، واِستعان بلمسته الفّنية، ليجسّد نظرية لم تتوقف الأنامل والأقلام عن تخطيطها، وهي "**نظرية النظم**"؛ فوضع أسسها لغاية اِكتشاف سرِّ إعجاز القرآن الكريم: هل يكمن في ألفاظه أم في معانيه؟ كما أحدث بنظريته هذه تفاعلاً بين موضوعات نحويةٍ وبلاغيةٍ ودلاليةٍ، وعالج في دراساته البلاغية مدى اِرتباط اللّـغة بالسياق.

اِستهل "**الجرجاني**" درسه الدلالي في "**دلائـل الإعـجاز**" بالبلاغة والفصاحة؛ حيث يـرى أنَّ "البلاغة لا تعود إلى الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة، وإنّما تعود إلى معانيها بعد أن يلتـئم شملها في نظم"[2]، بمعنى أنّه تطرق إلى قضية اللفظ والمعنى؛ وأنَّ المفردة منعزلة عن السياق لا قيمة لها، في حين وهي داخل التركيب تكتسب دلالةً وسمّى هذه العلاقة "النـــــظم".

[1]- سيبويه، الكتاب، ج.4، ص.15.

[2]-أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت)، ص.115.

وقدّم مثالا على هذا بقوله تعالى:{وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}[هود الآية 44]، هذه الآية حاملة لميزة اِستمدتها من حسن الصياغة والتأليف بين عناصرها، والبناء الرصين بين هذه المفردات عجيب، ولكن من جهة لو تمّ عزل، مثلا: (أَقْلِعِي) تصبح مجرَّدة من ذلك الأثر الذي أحدثته على مستوى سياق الآية، لتصير مفردة لها معنى معجمي فقط. وهذا ما أطلق عليه "**الجرجاني**" النظم؛ ذلك الإبداع الفنّي كأنّه أخذ صورة بتقنية عالية الجودة، ولا يتطلّب سوى" أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رُسمت لك، فلا تُخلّ بشيء منها"[1]؛ فالنظم خاضع للنحو ومعاييره، وهنا لا يقصد من تلك القواعد والمعايير الحركات الإعرابية من: رفع ونصب وجزم...وغيرها، بل يتعدّى ذلك إلى مراعاة الأسلوب النحوي، أي المقام والسياق من تقديمٍ وتأخيرٍ، وتعريفٍ وتنكيرٍ...إلخ.

كما تطرّق في نظريته إلى العلامة اللسانية (علاقة اللفظ بالمعنى)[2]؛ وأعطى الأولوية للمعاني الموجودة في النّفس قبل إطلاقها على الواقع، فالفرد بمجرّد صياغته للفكرة المراد إيصالها للطرف الآخر فيحسن تأليفها على أكمل وجه، تنتظم الألفاظ دون بذل أيّ جهد، والدليل على هذا قوله: "وأنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فِكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّبُ لك بحكم أنها خدمٌ للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النّفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالَّة عليها في النطق"[3].

وفرّق بين نظم الحروف ونظم الكلام؛ فأمّا فصاحة الحروف وبلاغتها فردَّها إلى "تواليها في النّطق، وليس نظمُها بمقتضًى عن معنى، ولا النّاظم لها بمقتفٍ في ذلك رسْمًا من العقل

---

[1]– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، ط.3، مطبعة المدني بالقاهرة–دار المدني بجدة، 1413هـ . 1992م، ص.81.

[2]–يُنظر منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص.177.

[3]–الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص.54.

اِقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه. فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لمّا كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد"[1]، وبالتّالي فإنّ تنسيق الحروف مع ربطها ببعضها البعض سبيل للوصول إلى المعنى، وكلما أخذ صوت مكان صوت آخر تغيّرت الدلالة، في حين نظم الكلم ليس سوى أنْ "تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتّبُها على حسب ترتُّب المعاني في النفس... وليس هو النّظم الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واِتّفق"[2].

إنّ النظم كفكرة قد عُولجت قديما من "**الجاحظ**" و"**سيبويه**" وغيرهم، أمّا كنظرية فكانت على يد "**الجرجاني**"؛ الذي رسم لها الحدود وعبّد لها المسار، ليطلقها إلى الجمهور فيُحسبُ لها ألف حساب قبل أنْ يُشرع في دراستها وتفسيرها.

وجاء على لسانه في مقام تبيان أصناف الدلالات على المعنى:" الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدُلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التّمثيل""[3]، ويمكن أنْ نلخّص هذا النص في المخطط الآتي:

[1]– المرجع السابق، ص.49.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، ص.262.

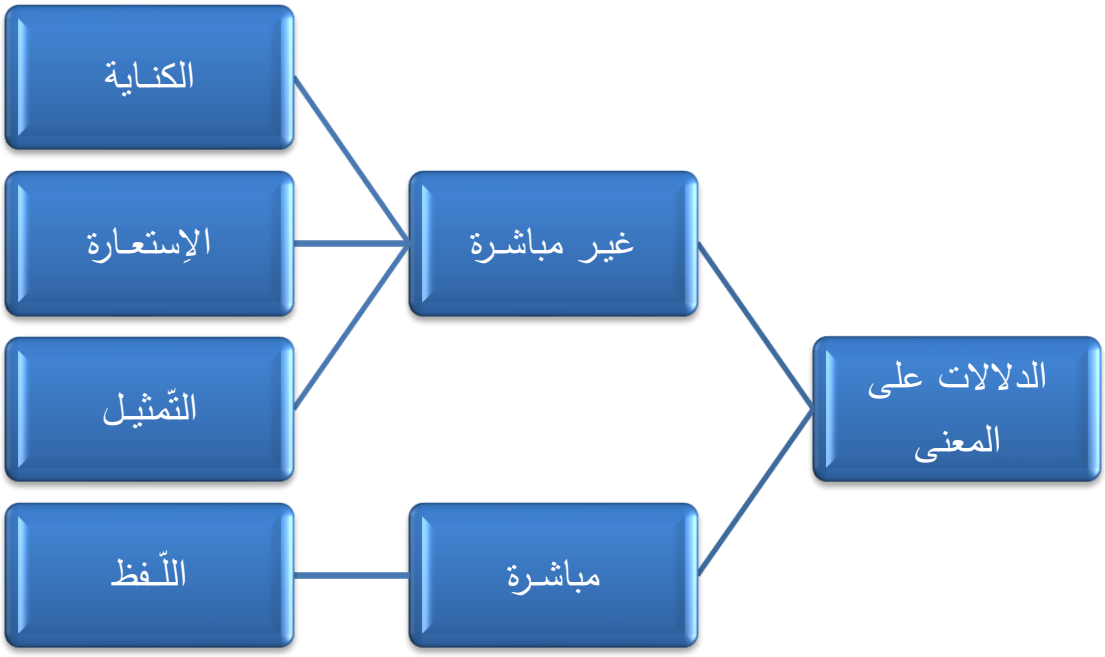

إنّ أوّل ما يلفت النظر بمجرد التّدقيق في النّص إشارة صاحبه إلى تعدّد الدلالات، إلى جانب ما تمّ تمثيله في المخطط هناك دلالة مباشرة تفهم بمجرد الإفصاح عن اللّفظ، ولا تحتاج إلى إيجاد المجهول من المعلوم في المعادلة؛ فدليل المعنى لفظُه، وهذا الضرب الأول من الكلام "الدلالة الظاهرة"، أمّا الضرب الثاني "الدلالة غير المباشرة"، فالكاتب أو المتكلم يستخدم ألفاظ لغوية متواضعة عليها في اللّغة، لكن المعنى المراد إبلاغه ليس معناها الحقيقي الظاهر، وهذا ما تحمله كل من (الكناية والإستعارة والتّمثيل)، دوما المعنى الظاهر وراءه معنى خفيّ، على القارئ إعمال العقل والاستدلال لمعرفته، مثلا لو قلنا: (رجلٌ كثيرُ الرمادِ) هل حقا إتضحت الفكرة؟ طبعا لا، فالمخفي أعظم من البارز؛ فصانع هذه العبارة قصد شيئا آخر (رجل كثير الكرم والسخاء)، لكنه إختار أن يعبّر عمّا يختلج في نفسه وتفكيره بطريقة غير مباشرة، ففضّل المراوغة بين المفردات، وهذا الصّنف يطلق عليه أيضا (معنى المعنى).

وختاما لآراء "**الجرجاني**" وإسهاماته الدلالية، يبدو من نصوصه ميله إلى تفضيل المعاني على الألفاظ، وإتّخاذه موقف الرافض تماما لفصاحة الكلمة المفردة، وإنمّا أهميتها تكون في بلاغتها وحسن نظمها مع أخواتها، لذا إعتبر سرّ إعجاز القرآن الكريم راجع إلى معانيه وحسن تأليفه، فأقام نظريته الشهيرة "النظم" على دعائم أساسية، نبرزها كما يلي:

ونظرا للأهمية التي حظي بها المعنى، تنـاوله العرب القدامى بالدرس والتمحيص، فكان هاجسهم وشغلهم الشاغل في كل المحافل اللغوية، فأثاروا قضـــايا دلالية وتحدّثوا في العلاقات الدلالية: الترادف، التضاد وغيرها، وأقاموا النظريات وألّفوا المعاجم والكتب، كلّهم أمل وعزيـــمة في الوصول إلى الدلالة، كما أنّ عنايتهم بالمعنى القرآني جعلتهم يطيلون الـوقوف عند كل ما يمدّ له بصلة من بعيد أو قريب، وفي الأخير كان لهم ذلك.

3-أنواع الدلالات عـــند اِبـن جـــني*[1]:

حلَّ القرن الرابع الهجري حاملاً معه أحد ألمع علماء اللّغة العربية -**اِبـن جـني**- الإرث العظيم، على يده نضج البحث اللغوي؛ بنظرياته الشاملة في النحو، علم الاِشتقاق، علم القراءات...، وبمجرد سماع اسمه يخطر في الأذهان مباشرة ودون أيّ تفكير كتابه الشّهير "**الخصائص**"؛ أين جمع جلّ جوانب اللّغة (الصرفية، النحوية، الدلالية، الصوتية)، هذا ما خلق آراء مختلفة حول مسألة تصنيفه: هل هو كتاب نحوي؟ أم خاص بقواعد الصرف؟ وبعد تصفّح بعض الورقيات فيه، أدركنا أنّه موسوعة لغوية، لذا اِعتمدناه في هذا العنصر من البحث كمصدر أساسي يغطي اِحتياجاتنا، ويجيب عن تساؤلنا حول أبرز الأبعاد الدلالية عند "**اِبـن جـني**".

لقد اِفتتح "**أبـو الفتح**" مشروعه الدّلالي، بعرضه لموضوعات أقل ما يقال عنها قيِّمة؛ كانت من صلب اِهتمام الفكر العربي، تناول فيها كُبْرَيـات الدرس اللّـغوي، كـأصل اللّغة وبحث مسائل الاِشتقاق والإعراب.

وصرّح في "**الخصائص**" أنّ أكثر أهل النظر اتّفقوا على أنّ اللّـغة "تواضع واِصطلاح، لا وحي وتوقيف، إلاّ أنّ أبا علي رحمه الله قال له يوما: هي من عند الله"[2]، فالفرد قادر على معرفة دلالات ومعانـي الكلمات من أصواتها؛ واللغة عنده ليست سوى مجموعات صوتية ينطقها الفرد، ليعبّر عن حاجاته ويجري اِتّصالاته مع الآخرين، ومن هنا سُجّلت اِنطلاقته في مناقشة ثنائية (اللفظ والمعنى) وتقابلها ثنائية (الدال والمدلول) أهم محور في الدرس اللساني الحديث، وعرض العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى والحرف في أربعة فصول من كتابه وهي:

---

[1]-*اِبن جني: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو 65عامًا، وكان أبوه مملوكا روميا، من أشهر مؤلفاته: "الخصائص، سر الصناعة، المحتسب..."، (يُنظر خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ج،4، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ص.204).

[2]- ابن جني، الخصائص، تح. محمد علي النجار، ج.1، ط.2، دار الكتب العلمية، 1952م، ص.40.

1-باب تلاقي المعاني على اِختلاف الأصول والمباني.

2-باب الاشتقاق الأكبر.

3-باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

4-باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

أما العلاقة بين الثلاثية فجاءت على المنوال الآتي:

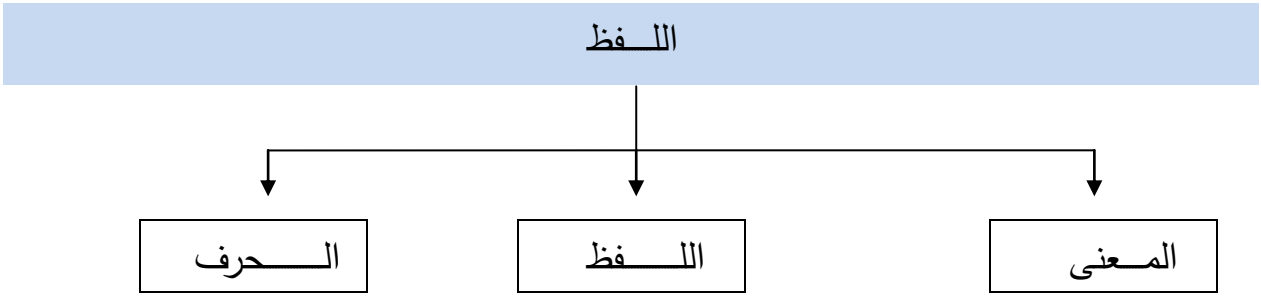

ذهب في باب "تلاقي المعاني" إلى وجود مناسبة بين الألفاظ والمعنى الواحد (علاقة اللفظ بالمعنى)، أو ما يسمّى بظاهرة الترادف قائلا: "هذا فصل من العربيّة حسن كثير المنفعة، قويّ الدلالة على شرف هذه اللّغة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كلّ اِسم منها، فتجده مُفْضي المعنى إلى معنى صاحبه"[1]،وضرب أمثلة كثيرة (السجية، الطبيعة، النحتية، الغريزة، السليقة، الضريبة، السجيحة، السُرْجوجة، النجار، المرِن) كلّها مفردات إنْ اِختلفت في حروفها ومبناها إلاّ أنّها تحمل المعنى نفسه، وأُعتُبِرت هذه الألفاظ مترادفات، ومَنْ يرجع إلى المعاجم اللّغوية يرى ذلك، ليسجّل في موضع آخر تقارب المعاني والدلالات لتقارب مخارج الألفاظ وهو ما سمّاه "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وحتّى يبرهن أقواله عقد جملة من الأمثلة وشرحها بدقّة ورؤية عميقة، ونحن أخذنا واحدة من هذه الحجج،

[1]- ابن جني، الخصائص، ج.2، ص.113.

فجاء نصها على النحو التالي: (العَسْف والأسف) فالعين مجاورة للهمزة، والأسف يعسف النفْس، فهذا في معنى الأسف وخصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من العين[1].

وتناول "**ابن جني**" علاقة الحروف ببعضها البعض في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وفي ذلك إشارة منه إلي وجود صلة بين الصوت اللّغوي ومعناه، وتقارب نغيمات الأصوات ينتج عنه تقارب المعاني، ويفترض أنّ صيغة (الفعلى) تأتي للسرعة مثل: الولَقَى[2] وغيرها من الصيغ، كل هذه الآراء التي اِجتهد في تحصيلها تدلّ على أنّه تفطّن لقضية ربط اللّفظ بمدلوله، فالألفاظ ما هي إلاّ وسيلة لأداء المعاني.

واِلتفت إلى اِبتداع ظاهرة لغوية عربية "الاشتقاق الأكبر"؛ خصّص لها بابا كاملا في مؤلفه "**الخصائص**"، فاِعترف بفضل أستاذه بإلقائه لهذه العبارات:" هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أنّ أبا علي _ رحمه الله _ كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاِشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمِّه، وإنّما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنّما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه فتعلم أنّه لقب مستحسن"[3]، إذًا فهو اِستمد الفكرة من شيخه "**أبي علي الفارسي**" فكان له مشعل التسمية بيده، والاشتقاق ترسّخ في الأذهان أنّه أخذ لفظ من آخر مع مناسبة المشتق والمشتق منه معنا وتركيبا، نحو: كلمة (ع ل م) ننتج منه عدّة صيغ أمثال: لمع، عمل، علم، لعم...وغيرها.

أمّا "**ابن جني**" فيقول عنه: "وأمّا الاِشتقاق الأكبر فهو أنْ تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كلّ واحد منها عليه، وإنْ تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاِشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد، وقد كنا قدّمنا ذكر طَرَف من هذا الضرب من الاِشتقاق

[1]– يُنظر المرجع السابق، ص.146.

[2]– المرجع نفسه، ص، ص.152، 153.

[3]– نفسه، ص.133.

في أوّل هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب تراكيبهما؛ نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك)، وكذلك (ق و ل) (ق ل و) (و ق ل) (و ل ق) (ل ق و) (ل و ق)[1]، وضّح أنّ الإِشتقاق يكون من الكلمات التي لا تقلّ عن ثلاثة حروف (الأصول)، فنصنع منها ستة صور وهي الفروع، مع الإِتّفاق في المادة الأصلية والتركيب.

ولعلّ أهم موضوع عالجه تقسيمه للدلالة إلى ثلاثة أصناف، رتّبها ترتيبا تنازليا بداية من الأقوى بينهنّ، وصولا إلى الأضعف منهن، ويمكن توضيح ذلك بهذا المخطط:

جعل الدلالة اللّفظية في قمة الهرم لِاعتبارها الأقوى، وأمّا الدلالة المعنوية فوضعها في القاعدة لكونها الأضعف، والصناعية توسّطت الدلالتين، وهذا ما يؤكّده في قوله: "إِعلم أنّ كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعى مؤثر، إلاّ أنّها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهنّ الدلالة اللّفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"[2]، وهذا شرح للدلالات الثلاث:

[1]– المرجع السابق، ص.134.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج.3، ص.98.

- **الدلالة اللّفظية** أو **الصوتية** تتوقف على معرفة أصوات اللّفظة، وتكاد تتّفق أغلب الدراسات على ريادة "**ابن جني**" في المجال الصوتي، فقد اكتشف وجود صلة بين بعض الأصوات وبين ما ترمز إليه، وأوّل ما حداه بهذا الإكتشاف تسمية بعض الأشياء بأصواتها، كالخازباز لصوته...إلخ[1]، كما رأى أنّ هناك أصوات تتفوّق على أخرى من ناحية المعنى وقوّة دلالتها، فالحرف الشديد ليس نفسه الحرف الرخو، والأذن تميز بين وقْع هذه الأصوات بمجرد إطلاقها، وكذلك الحركات الإعرابية كلٌّ ولها خاصيتها؛ مثلا: (قَطَنَ) بثلاث فتحات تختلف إن اِستبدلت إحداهن بضمة أو كسرة.

وتفرّغ لدراسة الأصوات مع تحديد مخارجها وصفاتها، رغم أنّ كلٌّ من "**الخليل**" و"**سيبويه**" قد سبقاه في معالجة بعض من قضايا هذه المادة، لكن مع هذا فالدرس الصوتي بلغ ذروة النضج معه، فأفرد له مؤلفًا بأكمله أسمّاه "**سـرّ صناعة الإعـراب**" مرجعًا أصيلا لكل الدراسات الصوتية، وبه حقّق "**اِبن جـــــني**" ما كان يرجو إليه بقوله: "وأنا بإذن الله تعالى ومعونته، وطَوْله ومشيئته، أبلغ من ذلك فوق قدر الكفاية، وأحرز فيه بتوفيق الله قَصَب السَّبْق إلى الغاية"[2].

- **الدلالة الصناعية** تلي مباشرة اللّفظية؛ كونها قالب تحمل بداخلها الألفاظ، ويُطلق عليها أيضا **الدلالة الصرفية** دلالة الصيغ والأوزان المستمدّة من اللّفظة، يقول "**اِبـــن جـــني**" في (باب الدلالة اللفظيّة والصناعيّة والمعنوية): "وإنّما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنّها وإنْ لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقرّ على المثال المعتزم بها، فلمّا كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللّفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في

[1]– محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ط.2، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011م، ص.20.

[2]– أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح. أحمد رشدي شحاته عامر ومحمد فارس، ج.1، ط.1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1421هـ . 2000م، ص.16.

باب المعلوم بالمشاهدة"[1]، فالدلالة الصرفية لها علاقة وثيقة بالمعنى وما يطرأ عليه من تحولات وتغييرات، و"**اِبن جني**" وإنْ لم يعقد بابًا خاصا بها إلاّ أنّه تطرّق إليها بين ثنايا كتبه، وأحصى لنا مجموعة من الأبنية الصرفية مع تحديد دور كلّ واحد في تشكيل المعنى، نحو: (أفعل: دلالتها النقل والبلوغ، فعّل: دلالتها التكثير...)وهذا في (باب في الردّ على من اِدّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) حيث قال: "... العلّة في ذلك أنّ كلَّ واحد من هذه المثل جاء لمعنى، فأفعل للنقل وجعل الفاعل مفعولا؛ نحو دخل، وأدخلته، وخرج، وأخرجته، ويكون أيضا للبلوغ؛ نحو أحصد الزرعُ، وأركب المهرُ، وأقطف الزّرعُ، ولغير ذلك من المعاني. وأمّا فاعل لكونه من اِثنين فصاعدا؛ نحو ضارب زيد عمرا، وشاتم جعفر بشرا. أمّا فعّل فللتكثير؛ نحو غلَّق الأبواب، وقطَّع الحبال، وكسَّر الجرّار"[2].

ويمكن من قوله اِستنتاج هذه النقاط:

- صيغة (فعل) تختلف عن صيغة (أفعل) نحو: دخل وأدخلته؛ فالثانية تجعل الفاعل مفعولا.
- زيادة الهمزة على الأفعال (أحصد، أركب، أقطف) تُظهر أنّ الشيء وصل إلى غايته.
- إضافة الوحدة الصوتية (الألف) على وسط المفردة تكسبها دلالة جديدة، وأنّ الفعل شارك في إنجازه طرفين فأكثر، نحو: ضارب، شاتم.
- الوزن الصرفي (فعَّل) يدل على التكثير، نحو: غلَّق، وقطَّع، وكسَّر.

ولاحظ أنّ أيَّة زيادة في المبني تُفضي بطبيعة الحال إلى زيادة في المعنى، قائلا: "خَشُن واِخشوشن. فمعنى خَشُن دون معنى اِخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو... وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العُشْب فيه قالوا: اعشوشب. ومثله حلا واحلولى، وخَلُق واخلولق، وغدن واغدودن. ومنه باب فَعَل وافتعل؛ نحو قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنى من

[1]- اِبن جني، الخصائص، ج.3، ص.98.

[2]- الخصائص، ج.1، ص.223.

قولهم: قدر."[1]؛ استبدال الصيغة (فعل) بالصيغة (اِفعوعل) أي تكرار صوت العين مع إضافة صوت الواو ألبس الألفاظ دلالات ومعانٍ بحلّة جديدة، فمعنى (خَشُن) دون معنى (اخشوشن)، ومعنى (اِقتدر) أقوى من معنى (قدر).

وأدرج "**ابن جني**" إلى جانب كلِّ ما تمّ ذكره تحت الدلالة الصرفية مباحث عدّة؛ حيث تحدّث عن دلالة أوزان الصفات، والأفعال، والأسماء، ودلالة حروف المبنى وحروف المعنى (المورفيمات) وقسّم هذه الأخيرة إلى: سوابق (تأتي في بداية الكلمة كحروف المضارعة)، ولواحق (تلحق أواخر الكلمات كتاء التأنيث، وألف التثنية وغيرها).

- **الدلالة المعنوية** وتأتي في ذيل التصنيف، ويُفهم من الأمثلة والتعابير التي وظفها "**ابن جني**" بأنّه يقصد **الدلالة النحوية،** صنفٌ من الدلالات تُلحق بالكلمة من خلال وظيفتها داخل التركيب، يقول "**ابن جني**" عن النحو: "هو اِنتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك."[2]، وأدرك أنّ بالإعراب يتمّ التفريق بين وظيفة الفاعلية والمفعولية؛ فهو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهم ونصب الآخر الفاعل من المفعول"[3]، فالمعنى مرتبط بالإعراب، والإعراب فرع من فروع المعنى ووسيلة لتحقيقه، وهذا ما أكّده "**ابن جني**" بقوله: "وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعُروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"[4].

وأحاط هذه الدلالة بنصيب وافرٍ من الاهتمام؛ كونها تساهم في تشكيل المعنى من خلال الأسلوب النحوي، وتندرج ضمنها الحركات الإعرابية ودلالاتها؛ مثلا في القول المدوّن أعلاه:

[1]- الخصائص، ج.3، ص.264.

[2]- الخصائص، ج.1، ص.34.

[3]- المرجع نفسه، ص.35.

[4]- الخصائص، ج.3، ص.255.

(أكرم سعيدٌ أباه) الحركة الإعرابية (الضمة) أفصحت عن دور الفاعل (سعيدٌ)،وأبانت القيمة النحوية التي تحملها تلك الكلمة، وأيضا في قوله عزّ وجلّ: **{إِنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ}** [التوبة، الآية 3]؛ فالناظر للآية الكريمة يفهم أنّ: (الله سبحانه وتعالى بريء من المشركين ورسوله معا، لماذا؟ لسبب وقوع "واو العطف" بين المشركين ورسوله)، لكن الضمة التي رسمت على (رسولُــه) صحّحت سوء الفهم الحاصل، وصار معنى الآية أوضح من السابق، فكل من الرسول صلى الله عليه وسلم والله تعالى لهما البراءة من المشركين.

ولقد وجّه "**ابن جني**" في دراسته للدلالة النحوية اِهتمامه بالقواعد المستنبطة من التركيب، وذلك مثلا في تناوله لموضوعات التقديم والتأخير، والحذف وغيرها، وفي بداية حديثه عن الحذف قال: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه. وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب من معرفته"[1]، فالحذف ظاهرة تركيبية أين يُستغنى فيها عن عنصر من عناصر الجملة لدليل، ومعظم النصوص في اللّغة العربية تكاد لا تخلو من المحذوف على أنواعه منه الجملة، والاسم، والفعل، وهو أسلوب بلاغي راقٍ حظيت به اللّغة العربية دون سواها من اللغات.

ولقد سرد "**ابن جني**" أمثلة كثيرة عن هذه الظاهرة، ونأخذ كأنموذج حذف الموصوف ووضع الصفة في محلِّه، بسبب وروده في الشعر أكثر من النثر، وأمّا "الصفة في الكلام على ضربين: إما (للتخليص والتخصيص)، وإمّا للمدح والثناء، وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مظان الايجاز والاختصار، وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه، هذا مع ما ينضاف إلى ذلك من الإلباس وضدّ البيان... وكلّما اِستبهم الموصوف كان حذفه غير لائق بالحديث"[2].

[1]– الخصائص، ج.2، ص.360.

[2]– المرجع نفسه، ص.366.

ولقد ذكر في موضع آخر قراءة "**ابن أبي إسحاق**" لقوله تعالى:{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ} [إبراهيم الآية 18]، أي في يوم ريح عاصف، وحسن حذف الموصوف هنا شيئا؛ لأنّه قد ألّف حذفه في قراءة الجماعة: "في يوم عاصف"[1]. وأحصى أصنافا أخرى للحذف: كحذف الاسم(حذف المبتدأ، الخبر، المضاف، المضاف إليه، المفعول به، الحال... إلخ)، حذف الفعل والفاعل، حذف الحرف وغيرها من الحالات.

وإذا وقفنا عند فصل من الفصول الكثيرة التي قدّمها لنا "**ابن جني**" في "**الخصائص**" نجد بين ثناياها أسلوب التقديم والتأخير؛ تلك المخالفة للمواقع الأصلية من طرف عناصر النظام التركيبي الجملي، فالفاعل لا يتقدّم على فعله والمبتدأ لا يتأخّر عن خبره، إلاّ إذا كان هناك ما يدعو إلى تبادل الأدوار، وقد سطّر "**ابن جني**" ما يجوز ولا يجوز تغييره، وما يقبله القياس وما يسهّله الاضطرار[2]، ومن حالات التقديم والتأخير التي عدّها ما يلي[3]:

- تقديم المفعول والظرف على الفاعل.
- لا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له، لعلة مضارعه الاستثناء البدل، والبدل لا يصحُّ تقديمه على المبدّل منه، نحو: إلا زيدا قام القوم.
- يجوز تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ، نحو: قائمٌ أخوك.
- لا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل، نحو: والطيالسة جاء البردُ؛ لعلة أنَّ هذه الواو عاطفة.

وهكذا واصل "**ابن جني**" في سرده التقديم الواجب والجائز، ولم يخرج عن القياس مع إبراز العلة، وأمّا في "**المحتسب**" فكان له كلام مغاير؛ لم يأخذ بالقياس ولا بالتعليل، إنّما شغله المعنى وبلاغة التقديم، فصاغ لنا هذا الكلام:" ينبغي أن يُعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل

[1]– ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (د. ط)، ج.1، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص.360.

[2]– ابن جني، الخصائص، ج.2، ص.382.

[3]– المرجع نفسه، ص، ص. 382، 383.

وضع المفعول أن يكون فضلة وبَعد الفاعل، كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل، فقالوا: ضرب عمرًا زيد، فإن اِزدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل الناصبة، فقالوا: عمرا ضرب زيدٌ. فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنّه ربُّ الجملة"[1]؛ فالمفعول به عنده لا يقل شأنا عن الفاعل، كما يجوز تقديمه على الفعل والفاعل معا لعلة بلاغية وهي العناية والاهتمام.

ولم يهمل "**ابن جني**" في هذا الإطار المعنى، بل كان من أولوياته واِهتماماته، فقد اِلتفت إلى الدلالة في جلِّ كتبه، ليس هو فحسب، فالأغلبية من العلماء القدماء درسوا مباحث أدرجت ضمن علم الدلالة، حتى وإن لم تكن تحمل نفس التسميات الحديثة، فما يهمنا أنّ علماءنا باِختلاف تخصّصاتهم (لغة، بلاغة، فقه، أصول) بحثوا في هذا العلم ولو إشارات هامشية: كالبحث في نشأة اللغة، علاقة اللفظ بالمعنى، أقسام الكلام، نظرية النظم، دراسة الأصوات، دراسة ظواهر لغوية (التقديم التأخير، الحذف...)، وهذا كلّه يدلّ على أنّ علم الدلالة علم فسيح الأرجاء، وجذوره مغروسة بعمق في التراث العربي القديم، وهو علم حديث النشأة لكنه قديم التناول.

[1]– اِبن جني، المحتسب، ج.1، ص.65.

الفصل الثاني:

القراءات القرآنية الشاذة؛

أنواعها وضوابطها.

1 -القراءات القرآنية؛ نشأتها وشروط الاحتجاج بها.

2-القراءات القرآنية الشاذة.

3 - الاحتجاج بالقراءات الشاذّة.

1-القراءات القرآنية؛ نشـأتها وشروط الاحتجـاج بها:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على أمة سيّدنا "محمد عليه الصلاة والسلام" خاتم المرسلين؛ هداية وإرشادًا للناس أجمعين، فسطعت حناجر القرّاء عالية، مرتّلة لكلام "المولى عز وجل"، كلٌّ وأسلوبه ولهجته، ما أدى إلى ظهور أوجه عدّة لتأدية وترتيل هذا الكتاب العظيم؛ وهي ما يُصطلح عليها بـ: "**القراءات القــرآنيــة**"، وجاءت على نوعين: المشهور أو المتواتر، والشاذ.

1-1- تعريف القراءات القرآنية:

- **في اللغة:**

- ذكر " **الأزهري** " (ت 370هـ) قول " **أبو الحسن اللحياني** ": " قرأت القرآن وأنا أقرؤه قرءا وقراءة وقرآنا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قرّاء وقرأة وقارئين، وأقرأت غيري أقرئه إقراء،... وقال بعضهم: تقرأت: تفقهت "[1].
- وجاء على لسان صاحب قاموس " **المحيط** ": " قرأه به، كنصره ومنعه، قرءا وقراءة وقرآنا، فهو قارئ من قرأة وقرّاء وقارئين: تلاه، كاقترأه، وأقرأته أنا... وتقرّأ: تفقّه "[2].

[1]- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة،ج.9، تح. محمد عوض مرعب، ط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ص.211.

[2]-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح. محمد نعيم العرقسوسي، ط.8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص.49.

يتّضح من خلال هذه التعاريف أنّ لفظة القراءات في اللّغة جمعٌ للمفردة (قراءة)، وهي مشتقة من مادة (قرأ)، وتحمل معنى التلاوة والجمع.

-**في الاصطلاح:** أورد علماء القراءات أكثر من تعريف، من ذلك:

-تعريف "**ابن الجزري**" (ت 833هـ) في كتابه "**منجد المقرئين ومرشد الطالبين**"، حيث قال: " القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة "[1].

- تعريف" **الزركشي**" (ت 794هـ) في "**البرهان**"، وذلك في قوله: "والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[2].

وإذا أمعنا النظر في هذين التعريفين نجد أن القراءات القرآنية تختص بالبحث في طريقة تلاوة ألفاظ القرآن؛ أي الأداء النطقي للحروف من تخفيف وتثقيل.

1-2-نشأة القراءات القرآنية:

حصل الشرف للعرب بتدوين كلام الله سبحانه بلغتهم، فهو أنقى وأجود نصٍ دوّن باللغة العربية، فاِجتهدوا وأقاموا له علمه الخاص به، ألا وهو – علم القراءات-، فهُيئت له الظروف

[1]- شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ص.9

[2]- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج.1، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1376هـ/1957م، ص.318.

والأسباب حتى نضج واِكتمل، وذلك طبعا تطلّب فترة زمنية معتبرة، وكان على مراحل، وهذا الشكل يوضّح ذلك:

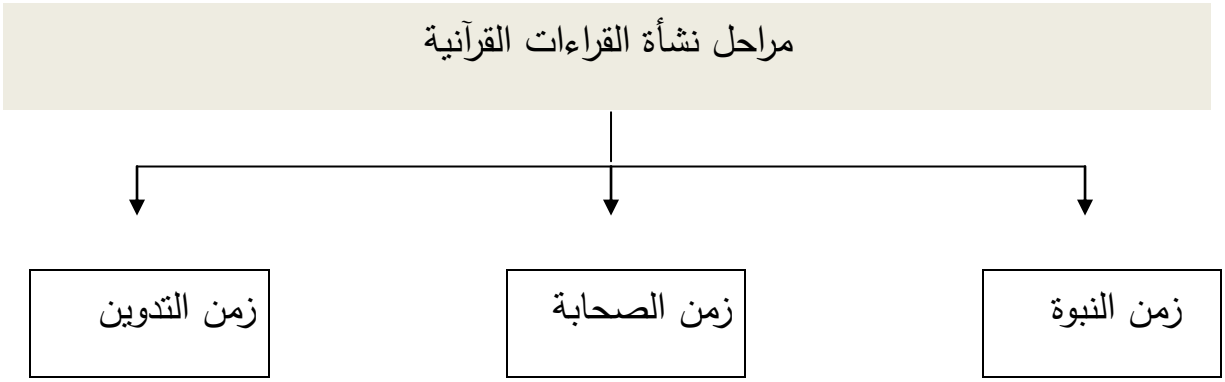

1-المرحلة الأولى: زمن النّبوة:

كانت البداية مع نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي – صلى الله عليه وسلم – بالأحرف السبعة، فهذه تعتبر البذرة الأولى لنشأة هذا العلم، فكون النبي رحيما بأمّته لم يرد أن يقرأ القرآن الكريم على حرف واحد، لأنّ فيه مشقّة لكثير منهم، فسأل الله أنّ يخفّف عنهم[1].

وهناك العديد من الأحاديث المتواترة التي تدلّ على ذلك، فقد قال **الرسول صلى الله عليه وسلم: " أقرأني "جبريل" عليه وسلّم السلام على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف "**[2].

[1]– ينظر عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني، مباحث في علم القراءات، ط.1، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 1432هـ/2011م، ص.21.

[2]– نقلا عن محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في العلوم العربية، ج.1، ط.1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1404هـ/1984م، ص.13.

وقام النبي بدوره بعد تعليم جبريل عليه السلام إيّاه القرآن والقراءات، بتعليم وتلقين الصحابة، اِمتثالا لقول الله:{وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا} [الإسراء، الآية 106]، فظهرت طائفة من الصحابة يتدارسون كتاب الله يقال لهم "**القرّاء**"، وقد حفظ القرآن في زمن النبي جمعٌ من الصحابة هم: "**أبو بكر الصديق**"، "**أبي بن كعب**"، "**عبد الله بن مسعود**"، "**أبو الدرداء عويمر بن زيد**"، "**عثمان بن عفان**" ،"**علي بن أبي طالب**"، "**أبو موسى الأشعري**"، "**زيد بن ثابت**"، فقال "**الذهبي**" عنهم: " فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي (ص) وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة "[1].

2-المرحلة الثانية: زمن الصحابة:

وقعت حروب الرّدة عند وفاة "**الرسول عليه الصلاة والسلام**" وخلفه "**أبوبكر**"، ومات الكثير من القرّاء، فأشار "**عمر**" على "**أبي بكر**" بضرورة جمع القرآن مخافة زواله بزوال القرّاء، فضمّت هذه الصحف جميع الحروف التي نزل عليها القرآن الكريم[2].

وبعد تعيين الخليفة "**عثمان بن عفّان**" أمر أربعة من الصحابة، الذين اشتهروا بعلمهم في القرآن والكتابة، وهم: "**زيد بن ثابت**"، "**عبد الله بن الزبير**"، "**سعيد بن العاص**" و" **عبد الرحمن بن الحارث**"، بنسخ مصحف بعدد الأمصار التابعة لهم وإرسالها، فتلقّى التابعون القرآن الكريم

[1]- ينظر محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ط.1، دار عمار، عمان، الأردن، 1422هـ/2001م، ص، ص.55، 56.

[2]- عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني، مباحث في علم القراءات، ص.22.

من الصحابة، وصار كلّ منهم يقرأ القرآن ويقرئ كما تعلّمه، لمعرفتهم أنّه كلّ من عند الله، وأنّ الرسول أجاز لهم هذه القراءات[1].

3-المرحلة الثالثة: زمن التدوين:

لقد اختلف المؤرخون في أول من ألّف في علم القراءات، فذهب بعضهم إلى الإمام " **أبو عبيد القاسم بن سلام** " (ت 224هـ)، أمّا " **ابن الجزري** " اِختار " **أبو حاتم السجستاني**" (ت 250هـ)، ولكن الذي رُجح هو " **يحي بن يعمر** " (ت 129هـ)، الذي يعدّ أوّل من ألّف في علم القراءات السبع، أبرزها " **التيسير لأبي عمر الداني** "، وقد أورد " **اِبن الجزري** " طائفة من هذه الكتب في قائمة مصادر كتابه "**النشر**"، وذكرها أيضا في كتابه "**غاية النهاية**"[2].

1-3- أركان القراءات:

بعد اِنتشار القرّاء في الأمصار، ظهر قرّاء يستحقّون هذا اللقب، وآخرون غيرهم لا يستحقّونه، وهذا راجع لعدم وجود معايير تضبط القراءات، فقام الأئمة بوضع ضوابط، يُرجع إليها[3]، ويمكن توضيحها في الشكل الآتي:

[1]- المرجع السابق، ص.23.

[2]- ينظر محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ص، ص، ص.58، 59، 60.

[3]- نبيل بن محمد إبراهيم آل اسماعيل، علم القراءات نشأته - أطواره - أثره في العلوم الشرعية، ط.1، مكتبة التوبة، الرياض، 1421هـ/2000م، ص.40.

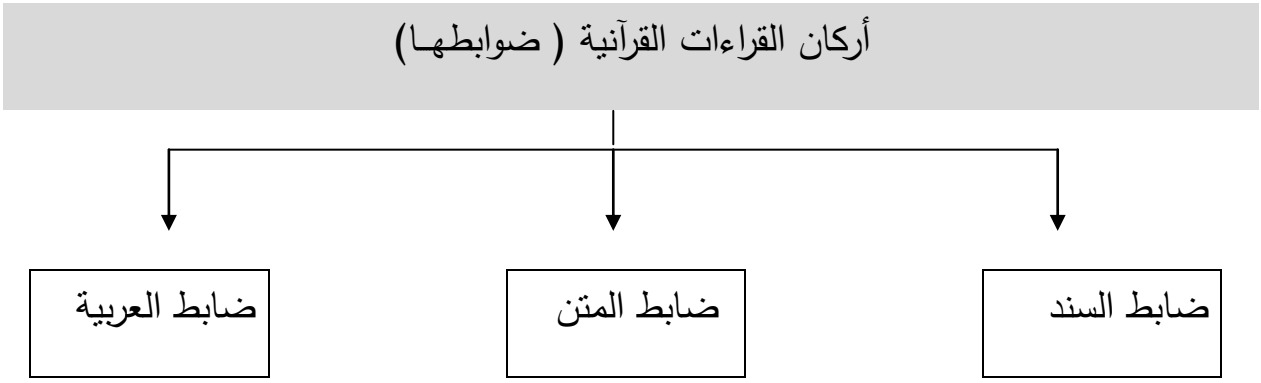

1-ضابط السند: فكلّ قراءة كانت غير صحيحة السند كانت قراءة مردودة، لعدم توافر شرط الصّحة فيها، ومثال ذلك قراءة "**أنس بن مالك**": (مَلَكَ يوم الدين) بدل{مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ}[الفاتحة الآية 04].

2-ضابط المتن: وهيكلّ قراءة خالفت الرّسم العثماني، ومن الأمثلة المخالفة للرّسم، قراءة "**ابن مسعود**" رضي الله عنه: (إن كانت إلا زقيةً واحدةً) بدل قوله تعالى: {إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ} [يس الآية 53].

3-ضابط العربية: وهي كل قراءة خالفت وجه من أوجه العربية، ومثال ذلك ما رواه "ابن بكار" عن "أيوب" عن "يحيى" عن "ابن عامر" من فتح ياء (أدريَ أقريب) في قوله تعالى:{فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ} [الأنبياء، الآية 109].

1-4- القرّاء العشرة وروّائهم:

القراءات القرآنية ما هي إلاّ لهجات مختلفة، صادرة عن علماء اتّصفوا بالثقة في روايتهم، وأصبحنا نعتمد عليهم في قراءة الآيات القرآنية، وهم كثيرون ولكن " **ابن الجزري** " أحصى مجموعة مكونة من عشرة قرّاء، فقال: "ولكلّ واحد من هذه الرّواة طريقان كل طريق من طريقين إن تأتّى ذلك أو أربعة عن الراوي نفسه يتم ثمانون طريقا"[1].

وفيما يلي رسم توضيحي لأسماء القرّاء العشر وروّاتهم[2]:

1-نافع (تـ 169هـ)

قالون (تـ 220 هـ) ورش (تـ 197هـ)

2-ابن كثير (تـ 120هـ)

البزّي (تـ 250هـ) قنبل (تـ 291هـ)

[1]- شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تح. عبد الله محمد الخليلي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص.25.

[2]- ينظر المرجع نفسه، من ص.23 إلى ص. 25.

3-أبو عمرو (تـ 154هـ)

الدوري (تـ 246هـ) السوسي (تـ261هـ)

4-ابن عامر (تـ 118هـ)

هشام (تـ245هـ) ابن ذكوان (تـ 242هـ)

5-عاصم (تـ 127هـ)

أبي بكر شعبة بن عياش (تـ 193هـ) حفص ابن سليمان (تـ 180هـ)

6-حمزة (تـ 156هـ)

خلف (تـ229هـ) خلاد (تـ220هـ)

8- علي بن حمزة الكسائي (تـ 189هـ)

أبو الحارث (تـ 200هـ) الدوري(تـ 246هـ)

8-أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130هـ)

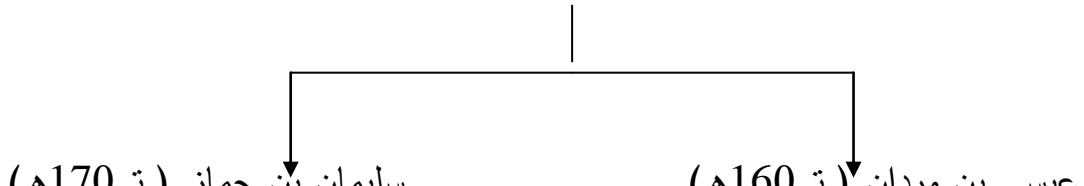

9-يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205هـ)

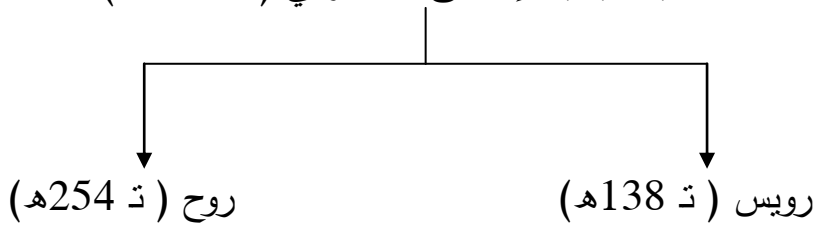

10-خلف بن هشام البزار(ت 286 هـ)

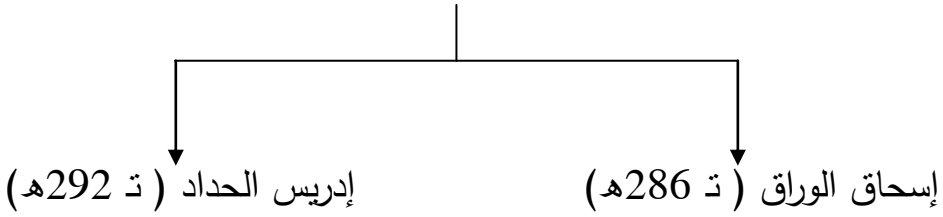

2-القراءات القرآنية الشاذة:

2-1- تعريفها:

-في اللغة:

- قال " **ابن منظور** " (تـ 711هـ) في مادة (شذذ): " شذذ: شذّ عنه يشذّ ويشذّ شذوذا: انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذ "[1].

- وقال " **ابن فارس** " (تـ 396هـ): " الشين والذال يدلّ على الانفراد والمفارقة. شذّ الشيء يشذّ شذوذا. وشذاذ الناس: الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم ولا منازلهم"[2].

اِتفقت المعاجم اللّغوية على أنّ الشذوذ يحمل في طياته معنى الانفراد والتفرّق، ومخالفة الأصل، أي الخروج عن القاعدة.

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج.3، ط.3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص.494.

[2]- أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.3، (د. ط)، دار الفكر، 1399هـ /1979م، ص.180.

- في الاصطلاح:

قال " **الزركشي**" عن حقيقة الشاذّ في اللغة: "المنفرد. وفي الاصطلاح عكس المتواتر، وقد سبق أنّ المتواتر قراءة ساعدها خطّ المصحف مع صحّة النقل فيها ومجيئها على الفصيح من لغة العرب "[1].

وقال الشيخ " **أبو شامة**" **(ت 665هـ):** " والقراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة، متلقاة بالقبول من الأمة "[2].

ولقد ذهب علماء القراءات إلى أنّ القراءة الشاذة هي كل قراءة أُسقط منها ركن من أركان القراءة الصحيحة، والتي هي: صحة السند، وموافقة رسم المصحف العثماني وموافقة وجه من وجوه العربية، وهذا ما قاله "**ابن الجزري**": " ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة "[3]، والقراءة الشاذة عكس القراءة المتواترة.

---

[1]- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج.2، ط.1، دار الكتبي، 1414هـ/1994م، ص.219.

[2]- شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح. طيار آلتي قولاج، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1395هـ/1975م، ص.184.

[3]- الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح. علي محمد الضباع، ج.1، (د. ط)، المطبعة التجارية الكبرى، (د.ت)، ص.9.

2-2- نشأتها:

إنّ التنوّع الذي حصل في القراءات أخذ منحى آخر يتناقض مع السبب الرئيسي لوجودها، وهو التخفيف والتيسير على الأمة، وأثار الكثير من المخاوف لضياع شيء من القرآن، وكذا الخوف على وحدة الصّف الإسلامي، بسبب تعدّد هذه القراءات، وكما ذكرنا سابقا في عهد "**عثمان**" رضي الله عنه أمر بتوحيد المصاحف على القراءات المجمع عليها، ومن هنا ظهر الشذوذ على كل قراءة لم تحظ بالإجماع[1].

ورغم شذوذ هذه القراءات وخروجها عن الإجماع، إلا أنّ القراءة بها لم تتوقف عند عدد من القرّاء، بل تمسّكوا بها مقتنعين بأنّ ما صحّ عن النبي لا يمكن تجاهله، وأوّل من أطلق عليها مصطلح "الشذوذ" هو الإمام " **ابن جرير الطبري** " في تفسيره مطلع القرن الرابع عندما تعرّض لقراءة " **ابن مسعود** " في " **سورة إبراهيم** " (وإن كان مكرهم) [الآية46]، بالدال بدلا من النون، فقال عنها بأنّها قراءة شاذة، وهكذا نشأت القراءات الشاذة وانحسرت مع مرور الزمن، وتحدّدت معالمها، لتصبح علما من العلوم التي لها أهميتها وأثرها الواضح في إثراء اللغة العربية والأحكام الشرعية، وكذلك إثراء علم التفسير[2].

[1]- محمود صلاح محمد فروخ، القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م، ص.26.

[2]- المرجع نفسه، ص.27.

2-3- أنواعـــها[1]:

-**النوع الأول:** ما ورد آحادا وصحّ سنده، ولكنه خالف رسم المصحف، أو خالف قواعد العربية، ولم يشتهر الاشتهار الذي اشترطه مكي وابن الجزري.

- **النوع الثاني:** ما لم يصح إسناده كقراءة (مَلك يوم الدين) بصيغة الماضي.

- **النوع الثالث:** وهو الموضوع المختلق؛ وقد أجمعت طائفة من العلماء على أنها القراءة التي نسبت إلى صاحبها بطريقة غير صحيحة، أي فيها كذب وإفتراء، لذا يطلق عليها بالقراءة المختلقة المصنوعة.

- **النوع الرّابع:** وهي القراءة التفسيرية، التي سيقت على سبيل التفسير، كقراءة "سعد بن أبي وقاص" "وله أخ وأخت من أم"، والمراد بالأخوة هنا هو الإخوة للأم.

2-4-فائدتـــــــها[2]:

- الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، فهي تساعد على بيان حكم من الأحكام مجمع عليه، أو إيضاح حكم، أو ترجيح حكم إختلف فيه.

[1]- محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ص، ص.73، 74.

[2]- حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية ، مج.1، تقديم محمد حسن جبل، سامي عبد الفتاح، ط.1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1427هـ/2006م، من ص.60 إلى ص. 63.

– الاحتجاج بها في القضايا اللغوية، فمثلا في المستوى الصوتي اِستدل بقراءة "**ابن مسعود**" (وثومها) على جواز الإبدال بين الثاء والفاء، وفي المستوى الصرفي استدل "**ابن عطية**" بقراءة (معائش) في قوله تعالى: {وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ}[الأعراف الآية 10] بالهمز، على أنّه يجوز همز حرف العلة في الجمع، حتّى وإن كانت مفردة أصلية وليست زائدة. وفي المستوى التركيبي اِستدل بالقراءة الشاذة في ترجيح أحد الأوجه الإعرابية قال "**ابن عطية**": وقرأ ابن مسعود: (ولا تعضلوهن) فهذه القراءة تقوي احتمال النصب، وفي المستوى الدلالي تأتي القراءة الشاذة كثيرا، لتفيد تأييد وتأكيد القراءة المتواترة، سواء من ناحية المعنى أو من اللفظ، فمثال على هذا قراءة أبيّ بن كعب: (وما تسأل)، وابن مسعود: (ولن تسأل) وقال "ابن عطية": "وهاتان القراءتان تؤيّدان معنى القطع والاستئناف في غيرها".

– الاحتفاظ بلهجات القبائل من همز وتسهيل وغير ذلك، ودفع توهّم ما ليس مرادا، ويوضّح هذا قراءة: (فامضوا إلى ذكر الله) في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}[الجمعة الآية 09]، فقد رفعت القراءة الشاذّة ما يمكن توهّمه من أنّ المقصود بالشيء هو وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، وأوضحت أنّ المراد بالسعي المضي.

2-5-التعريف بالــقرّاء الأربعة:

1- ابن محيصن (ت 123هـ):

هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي. مقرئ أهل مكة مع ابن كثير...، قال "**ابن مجاهد**": " كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه"[1].

2- اليزيدي(ت 202 هـ):

هو يحيى بن المبارك بن المغيرة الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقرئ ثقة علاّمة كبير، نزل بغداد وعُرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدِّب ولده، أخذ القراءة عرضًا عن أبي عمرو، وهو الذي خلفه بالقيام بها وأخذ أيضا عن حمزة[2].

[1]- عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب،(د. ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص.11

[2]- شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح. برجستراسر، ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص.327.

3- الحسن البصري (ت 110هـ):

هو أبو الحسن يسار السيد الإمام أبو سعيد البصري إمام زمانه علمًا وعملًا، قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري وعلى أبي العالية عن أُبيّ وزيد وعمر... وروينا عن الشافعي رحمه الله أنه قال: لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته، ومناقبه جليلة وأخباره طويلة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وذلك سنة إحدى وعشرين[1].

4- الأعمش (ت 148هـ):

هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي، ولد سنة ستين، أخذ القراءة عرضًا عن "إبراهيم النخعي"، و"زرّ بن حبيش"، و"زيد بن وهب"، و"عاصم بن أبي النجود"... ، قال "هشام": "ما رأيت بالكوفة أحدا أقرأ لكتاب الله عزَّ وجلَّ من الأعمش"[2].

2-6- موقف العلـماء من القراءات الشاذة:

نال القرآن الكريم اِهتمام العرب، فعكفوا يستنبطون منه الأحكام والقواعد، وينظرون في مواطن البلاغة والإعجاز – هذا من جهة –، في حين هبت فئة أخرى لتلاوته وتذوق كلماته حرفا بحرف، ونتيجة هذا الاهتمام ظهرت القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذة، وكما وضع

[1]- المرجع السابق، ج.1، ص.213.

[2]- المرجع نفسه، ص.286.

العلماء حول الأولى مؤلفات وأجروا بحوثا دقيقة، كان لهم في القراءات الشاذة أحاديث ومواقف حول حقيقة هذا الصنف من القراءات.

واختلفت آراء العلماء حول القراءات باختلاف توجهاتهم اللّغوية والفقهية، وما قالوه حول شذوذها ، ويمكن أن نستعرض في هذا المجال آراء كلّ من "**السيوطي**"، " **المبرد**" و"**ابن خالويه**".

1-جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ):

وهو رمز من رموز الأدب، عاش وتربّى على الفكر الديني، فبقي محافظا على أصوله، اِتّبع حسّه، فوضع في الفقه والدين مؤلفات، أمثال: "**الإتقان في علوم القرآن**"، "**الاقتراح في أصول النحو**" و"**الأشباه والنظائر في النحو**"؛ إذ بداخلها طُرحت مسائل شتّى، وعُولجت قضايا متنوّعة لها صلة بالقرآن والنحو معًا، ومن أبرزها القراءات القرآنية، فقد كانت له مصدرا للاستشهاد وبناء القواعد.

وكان أول ما ذهب إليه "**جلال الدين**" في "**الإتقان**" تصنيف القراءات إلى أنواع، بحسب درجة صحّتها وروايتها، وهي على التسلسل الآتي[1]:

1-**المتواتر**: وهو ما نقله جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

[1]- الحافظ جلال السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج.1، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ت)، ص، ص.215، 216.

2-**المشهور**: وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التّواتر، ووافق العربيّة والرسم؛ واِشتهر عند القراء.

3-**الآحاد**: وهو ما صحّ سنده وخالف الرّسم أو العربية، أو لم يشتهر الاِشتهار المذكور، ولا يُقرأ به.

4-**الشاذّ**: وهو ما لم يصحّ سنده، من ذلك قراءة: (مَلَك يومَ الدين) بصيغة الماضي، ونصب (يومَ)، و(إياك يُعْبَد) ببنائه للمفعول.

كما أضاف نوع خامس وسادس؛ أسماهما "**الموضوع**" و"**المدرج**"، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير[1]، ومعظم هذه التصنيفات خدمت علم القراءات، وأبانت عن اِختلافات وفروقات في تأدية كلام المولى عزّ وجلَّ، ولعلّ أهم ما استوقفنا من هذا التصنيف، الصنف الرابع، ألا وهو – **الشاذّ** –، لذا سنأخذ بعض أقوال " **السيـوطي** " حوله، ونتعرّف على حقيقة توظيف القراءات الشاذة بداخل مؤلفاته:

-يقول في مسألة (حذف التاء): "...أن يكون قطيع الكلام أصله قطيعة الكلام، ثم حذفت التاء للإضافة، فإنها مسوغة لحذفها عند الفرّاء وغيره من العلماء، وحمل على ذلك قوله تعالى: {وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ}[الأنبياء الآية 73]،... وعلى هذه اللغة قرأ بعض القرّاء (ولو

[1]- المرجع السابق، ص.216.

أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدَّه) أراد عدته"[1]، اِستشهد في هذا المقام بقراءة شاذّة؛ لإثبات صحة القاعدة النحوية لحذف التاء أو الإبقاء عليها.

– أخذ بعدم مخالفة قياسٍ معروفٍ، كشرط أساسي للاِحتجاج بالقراءة الشاذّة، كما يمكن الاِحتجاج بها حتى لو خالفته؛ لتوضيح الأمر قدّم " **السيوطي** " مثالين: "اِستحوذ ويأبى"، "فاِستحوذ" الواردة في قوله تعالى: {ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ} [المجادلة الآية 19]، لفظة شاذّة جرت عكس أصلها (اِستحاذ)، يُقبل الاِحتجاج بها، في حين لا تُقاس عليها ألفاظ عربية[2].

وأحصى "**جلال الدين السيوطي**" قضايا نحوية متعدّدة، أين اِحتجّ على صحّتها بالقراءة الشاذّة، لاِعتبارها نص قرآني، لذا لم يهتم بنوعها، فهمّه بناء أصوله النحوية على ركائز متينة، بها تصبح القراءات الشاذّة أحد أهم مصادره اللّغوية.

[1]– جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح. إبراهيم محمد عبد الله وآخرون، ج.3، (د. ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407ه/1987، ص، ص. 248، 249.

[2]– ينظر السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح. عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، ط.2، دار البيروتي، دمشق، 1427ه/2006م، ص.39.

2- المبـرد (تـ285هـ):

حظيت القراءات القرآنية الشاذّة، بحصة الأسد عند " **المبرد** " في كتابه " **المقتضب** "، إذْ لاقت اِستحسانا عنده، ووظّفها في أكثر من موطن كشاهد نحوي، وشغفه بالمادة القرآنية جعله يستحضرها في معظم خرجاته اللغوية والنحوية.

وتتمثّل بعض آرائه فيما يخص القراءات الشاذّة في حديثه حول:

- الأداة "أو "العاطفة لما بعدها على ما قبلها، والتي تدل في موضع على معنى: إلاَّ أن يكون، وحتى يكون، وفي موضع آخر تنصب الفعل بعد إضمار (إنَّ)، فاِستشهد بقوله تعالى:{سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ} [الفتح الآية 16]، وفي مصحف أُبَيّ (تقاتلونهم أو يُسلموا) على معنى إلاّ أن يُسلموا، وحتّى يُسْلموا[1].

- (إذن) الواقعة في بداية الكلام المسبوقة بالواو أو الفاء، تأتي ناصبة للفعل المضارع، مستشهدا بالقراءة التالية: (وإذن لا يلبثوا خلفك)، والتي وردت في مصحف "ابن مسعود"، فأصل الفعل (يلبثون) لقوله تعالى:{وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء، الآية 76]؛ وما حدث هنا أنّ النون أُسقطت، لِاعتبار (إذن) أداة ناصبة للفعل[2].

[1]- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، ج.2، ط.1، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص.27.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص.12.

وهذان المثالان عيّنة صغيرة، من العيّنات التي أسقط عليها " **المبرد** " خاصية الإستشهاد بالشواذ.

ورغم أنّ أكثر ما دوّن عنده من قراءات كانت لغاية تقعيد المقياس النحوي؛ إلاّ أنّه كان يرفضها ويتنازل عنها كلما سمحت له الفرصة، أو يحكم على أصحابها بالخطأ، والإثبات على هذه القضية قوله: " **فأمّا (معيشة) فلا يجوز همز يائها، لأنها في الأصل متحرّكة...، فأمّا قراءة من قرأ (معائش) فهمز فإنّه غلط، وإنّما هذه القراءة منسوبة إلى نافع بن أبي نُعَيم، ولم يكن له علم بالعربيّة، وله في القرآن حروف وقد وقف عليها**"[1].

وفضَّل في هذه الحالة القراءة المشهورة (معايش) لقوله تعالى: {وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ} [الأعراف الآية 10]، على القراءة الشاذّة (معائش)؛ حسب رأيه هذه الأخيرة تداولتها ألسنة لا علم لها بالعربية ولا بقواعدها وأصولها، لذا لم يأخذ بها، والحكم نفسه أطلقه على قراءة شاذّة منسوبة لأهل المدينة: (هؤلاء بناتي هنّ أطهرَ لكم)؛ والذي لفت اِنتباهه هو الفتحة المرسومة في آخر الفعل (أطهرَ)، فالحركة المناسبة هي الضمة في قوله تعالى: {هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} [هود الآية 78]، وعلّق على هذا قائلا: " فهو لحن فاحش، وإنما هي قراءة اِبن مروان، ولم يكن له علم بالعربية "[2].

[1]- المبرد، المقتضب، ج.1، ص.261.

[2]- المقتضب، ج.4، ص.105.

وأهم فكرة نخرج بها عن " **المبرد** " ومدى صلابة الرابط بينه وبين القراءات الشاذّة؛ أنه أدرجها ضمن مصادره لتقعيد القواعد النحوية، فأخذ ما يلاءم مذهبه النحوي، ورفض قراءات عدّة، لا لشيء سوى أنّها لا تتوافق مع اِهتماماته ولا تساير منهجه، فكان جزاؤها الإنكار.

3-ابن خالويه (تـ 370هـ):

لغوي، نحوي من نحاة القرن الرابع الهجري، اِهتم بالقرآن والقراءات، اِستقل بتفكيره ومنهجه، على يده اِكتسبت القراءات الشاذّة رواجا واسعا، حصرها في زاوية خاصة بها فضبطها، ووضع مؤلفات تحويها، أشهرها "**إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**" و"**المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**"، مستعينا بجهود من تقدمه من النحاة وأساتذته.

رأى أنّ القراءة سُنّة ولا تُحْمل على قياس العربية[1]؛ لإيمانه العميق أنّها تأخذ بالسماع والمشافهة من راوٍ لآخر، لا دخل للقياس فيها، وهذه النقطة بالضبط تستدرجنا لرصد مواقف "**اِبن خالويه**" من القراءات الشاذّة، والتي تتّضح فيما يلي:

[1]- أبو عبيد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985م، ص.24.

-حاول توثيق قاعدة صرفية مفادها أنّ: فاعلة تُجمع فاعلات في السلامة، وفواعل في التكسير، فاِستشهد بقراءة طلحة بن مُصرِّف: (فالصّوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله)[1]؛ يوضّح بكلامه هذا أنّ:

فاعلة (مفرد) ⟵ فاعلات (جمع مؤنث سالم) ⟵ فواعل (جمع التكسير).

أي: ما جاء في المفرد على وزن (فاعلة) يصبح على وزن (فاعلات) في الجمع المؤنث السالم، وعلى وجه (فواعل) في جمع التكسير.

-استشهد لقول العرب في تأكيد المؤنث، بقوله تعالى:{إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ} [ص الآية 23]، وأيضا بقراءة " **ابن مسعود** " التي وردت في مختصره[2]، وعلّق آخرون على هذه القراءة القرآنية؛ أنّ المقصود منها (تسع وتسعون نعجة حسناء)، لأنه يقال: اِمرأة أنثى، أي حسناء[3].

-أصدر أحكاما مثله مثل سابقه على القرّاء، إما لخطأ اِقترفوه أو للحن مارسوه على آية من آيات الله عز وجل؛ فقد غلط "الحسن البصري" لقراءته الشاذّة: (ولا أدرأكم به) بالهمزة، فحسب تصريح النحويين "الحسن البصري" وقع في خطأ وقعت فيه أغلبية العرب؛ هو همز

[1]- المرجع السابق، ص.176.

[2]- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (د. ط)، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت)، ص.130.

[3]- ينظر ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص.44.

مفردات في الحقيقة لا يليق بها التهميز[1]، اِستنادًا لقوله تعالى:{قُل لَّو شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُه ُعَلَيۡكُمۡ ولَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَد لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} [يونس الآية 16]، فهذه هي القراءة المشهورة والصحيحة في نظر " **ابن خالويه** ".

– اِعتبر جمع (صاحب) على وزن (أصحاب) في الآية الكريمة: {أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ} [الفيل الآية 1] شاذا، بحجّة أنّ فاعلاً لا يُجمع على أفعال إلاّ في النادر. فحاول " **ابن دريد** " تصحيح هذه القاعدة؛ بجعل (أصحاب) جمعا لـ: (صحب)، لكن " **ابن خالويه** " حتى هذه المرة تصدّى له، حيث قال بصريح العبارة: "وهذا أيضا شاذ، لأنّ فعلاً لا يجمع على أفعالٍ إلاَّ في الشاذّ"[2].

–خطى " **ابـن خالويــه** " خطوة جريئة، إذْ أقدم على تفسير قراءة مشهورة بقراءة شاذّة، لقوله تعالى:{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ} [المسد الآية 1]، فسَّر هذه الآية من وجهة نظره فاِعتبر (تبّت) الأولى دعاء، والثانية خبر، كما نقول جعلك الله صالحا وقد فعل، فتبّت يدا أبي لهب وقد تبّ، مستعينا بقراءة " **ابن مسعود** ": (تبّت يدا أبي لهب وقد تبّ)[3].

إنّ " **ابـن خالويه** " قد سار بالقراءات الشاذّة بِاتجاه النحاة الأوائل نفسه؛ إذ جعلها شاهدا على أقواله، وحاول إيجاد الوجه النحوي المناسب لكل قراءة شاذّة، ومنح القراءات

[1]– المرجع السابق، ص.40.

[2]– المرجع نفسه، ص، ص.190، 191.

[3]– نفسه، ص.ص.221، 222.

الشاذة كتبا حملت اِسمها وعالجتها جملة وتفصيلا، بعدما كانت عبارة عن أفكار مبعثرة هنا وهناك، يلجأ إليها العلماء لتلبية حاجياتهم فقط.

3- الاحتجاج بالقراءات الشاذّة:

3-1-تعريف الاحتجاج:

-في اللغة:

يشتق الاحتجاج في اللغة من مادة (حج)، وأصله الحجة بمعنى البرهان[1]، قال "**ابن فارس**": " **حج: الحاء والجيم أصول أربعة. فالأول القصد، وكل قصد حج** "[2]، ومنه فالاحتجاج في المعاجم اللغوية يدور حول معنى الدليل والبرهان.

- في الاصطلاح:

يعرّفه " **سعيـد الأفغـاني** "بقوله: " **يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة** "[3].

نلاحظ من خلال هذا التعريف بأن الاحتجاج لفظ ولد من رحم القراءات القرآنية؛ فهو جاء خصيصًا لجمعها والبحث في حججها، والبرهان على صحّة إسنادها، وأيضا اكتشاف الداعي من اختيار القارئ قراءة بوجه من وجوه العربية دون آخر.

[1]- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج.2، ص.228.

[2]- أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج.2، ص.29.

[3]- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، (د. ط)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، ص.6.

3-2-نشأة علم الاحتجاج:

مرّ علم الاحتجاج بمراحل متطوّرة، يمكننا اختصارها في ثلاث مراحل وهي:

- **المرحلة الأولى: الاحتجاج في عصر الرسول والصحابة:**

بدأ ظهور علم الاحتجاج للقراءات مع بداية ظهور علم القراءات، فكان الصحابة عند اختلافهم يعودون إلى النبي، مثلما حدث مع " **عمر بن الخطاب** " عند سماعه لـ " **هشام بن حكيم** " يقرأ سورة "الفرقان" غير التي سمعها من عند رسول الله، فظنّ "عمر" أنّها من عنده، فردّ "هشام" بأنّه سمعها هكذا من عند الرسول، فذهبا إليه ليحتكما، فصدق الرسول كلا القراءتين، وقال أنّ كلاهما من عند الله، لأنّ القرآن أنزل على سبعة كما ذكرنا عند تناولنا القراءات القرآنية[1].

ومن هنا نلاحظ احتجاج "هشام" على قراءته و"عمر" كذلك وإقرار الرسول بصحّتهما، وهذا يثبت صحّة تعدّد القراءات عن النبي، وأصبحت هذه الحادثة حجّة يحتجّ بها أهل فن القراءات قديما وحديثا والشواهد على ذلك كثيرة[2].

وكان الاحتجاج في أوله على هيئة تخريجات لبعض القراءات، والاحتكام فيها إلى اللغة، وحمل قراءة على قراءة[1]، فسبب نشوء علم الاحتجاج راجع إلى تعدّد القراءات، ومحاولة تعليل

[1]- ينظر بدر الدين عبد الكريم أحمد محمد، علم الاحتجاج للقراءات من عصر التنزيل إلى عصر التدوين، بحث علمي، كلية الدعوى وأصول الحديث، جامعة أم القرى، ص.ص.9 ، 10 موقع مكتبتي uqu.edu.sa

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص.10.

وتفسير ذلك التعدّد، بالإضافة إلى التأكّد من صحّتها، فكان له الأثر في إيضاح بعض جوانب الإعجاز البياني والبلاغي في توافق هذه القراءات[2].

- **المرحلة الثانية: الاحتجاج في عصر التابعين وبعد الصحابة** [3]:

استلم التابعون من الصحابة، وفئة القرّاء المشهورين راية علم الاحتجاج؛ فعرفت هذه الفترة نسخ المصاحف القرآنية وتوزيعها على البلدان الإسلامية، مع تجريدها من التنقيط والتشكيل، وكانت هذه فكرة " **عثمان بن عفان** " رضي الله عنه، وتعدّ هذه الخطوة إنجازا عظيما في مسار القراءات القرآنية، كما تحدّدت معالم القراءة الصحيحة، وأقدم العديد من العلماء والمفسرين على شرح آيات القرآن الكريم، وما تنطوي عليه من معانٍ وأسرار وأحكام، ومارس النحاة بدورهم مهمّتهم في تقعيد قواعد اللغة وتوثيقها، استشهادًا بالقرآن والحديث النبوي، وبكلام العرب شعرا ونثرا، هذه كانت أبرز الأحداث في زمن التابعين من الصحابة، والتي دامت إلى غاية القرن الثاني للهجرة.

- **المرحلة الثالثة: الاحتجاج في عصر التدوين:**

بدأ تدوين علم الاحتجاج للقراءات القرآنية في القرن 2هـ، عندما جمع بعض القرّاء القراءات المختلفة من أجل البحث عن إسنادها، فكان " **هارون ابن موسى الأعور**" (ت

[1]– حازم الحليّ، أثر المحتسب في الدراسات النحوية، (د. ط)، المكتبة الأدبية المختصة، (د. ت)، ص.15

[2]– بدر الدين عبد الكريم أحمد محمد، علم الاحتجاج للقراءات من عصر التنزيل إلى عصر التدوين، ص.15.

[3]– ينظر المرجع نفسه، من ص.16 إلى ص.20.

.170هـ) أوّل من سمع بالبصرة وجوه القراءات، وألّفها، وتتبّع الشاذّ منها، فبحث عن أسناده فيما يقول عنه " **أبو حاتم السجستاني** "[1].

وقد تطور الاحتجاج في القراءات في القرن 3هـ، وكثرت المؤلفات فيه، حيث يعدّ "**أبو عبيد القاسم بن سلام** " أوّل إمام جمع القراءات، وجعلها (25) قراءة، واستمرت حركة التأليف، فألف " **المبرد** " كتاب " **الاحتجاج للقراءات** "، ثم جاء " **بن جرير الطبري** " فألف كتابه "**جامع البيان** "، بعدها جاء " **ابن مجاهد** " فجمع القراءات في كتاب [2].

3-3-القراءات الشاذّة عند "ابن جني":

حصر " **ابن جني** " (ت 392هـ) القراءات الشاذة في مؤلفه " **المحتسب**" ، بعدما أقدم علماء القراءات على وضع معايير تكشف لهم عن هوية القراءات الصحيحة والمقبولة، وِاعتبروا أنَّكل ما خالف القاعدة، فهو خارج اهتماماتهم، وشاذّ بنظرهم.

وقد ذهب هو أيضا إلى تعيين ضربين من القراءات القرآنية، وجاء هذا في قوله: "**اعلم أنّ جميع ما شذّ عن قراءة القرّاء السبعة – وشهرتهم مغنية عن تسميتهم –ضربان: ضرب**

[1]– المرجع السابق، ص.22.

[2]– حازم الحليّ، أثر المحتسب في الدراسات النحوية، ص.18 وص.20.

شذّ عن القراءة، عاريًا من الصنعة ... وضرب ثان: وهو هذا الذي نحن على سمته؛ أعني: ما شذّ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة"[1].

إنَّ " **ابن جني** " لم يعمّم دراسته بالشواذ كافة، إنّما أخذ فقط ما شذّ عن السبعة؛ أي ما خرج عن القراءات التي أجمعها " **ابن مجاهد** " في كتابه " **السبعة في القراءات** "، واِقتصر على ما غمض عن ظاهر الصنعة، وبهذا المنهج حدّد " **ابن جني** " مادة دراسته وبحثه ألا وهي –الشواذ– فوقف عليها موقفا قويا، لم تغيّر آراء كبار علماء العربية والقراءات رأيه حولها، بل بالعكس فالاِنتقادات التي ضربت بالشواذ، جعلته يبذل كلّ ما أوتي به من مقدرة علمية ودينية ولغوية، حتى يخوض فيها ويعلن الانتصار للشواذ.

عمل " **أبو الفتح** " في " **المحتسب** " على توجيه العديد من القراءات الشاذّة، وأخذ بها في مواقع أخرى كدليل وشاهد على آرائه حول قضايا اللغة (النحوية، الصوتية والصرفية)، وطريقته في توجيه الشواذ كانت كما يلي[2]:

- إنّ أول ما يبدأ به " **ابن جني** " هو ذكر القراءة المراد توجيهها، ثم ينسبها لأصحابها ممن قرءوا بها أو رويت عنهم.

[1]– أبو الفتح عثمان ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج.1، (د. ط)، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ . 1999م، ص.35.

[2]– عبد العليِّ المسئول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ط.1، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ/2008م، من ص.171 إلى ص.176.

- يبدأ بإصدار حكمه على تلك القراءة الموجّهة، ثم حكم غيره عليها، وبعد ذلك يشرع في تعليل ذلك الحكم، كأن يوافق عليه، أو أن يردّه إن كان لغيره، فقد يحكم على القراءة الشاذة بالحسن من جهة العربية، ويفضلها على قراءة الجماعة ويستقويها كقراءة: (وَالسَّمَاءُ رفعها)، فقال عنها: "والرفع هنا أظهر من قراءة الجماعة"، أو يحكم على القراءة الشاذة بالضعف، كقوله عن قراءة (الحمد لُله) و(الحمدِ لله): "وكلاهما شاذ في القياس والاستعمال".
- يستعين أثناء عملية التوجيه، بجميع الأدلة الإجمالية من: نقل، وقياس، إجماع، واِستصحاب، وأيضا بالقرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وبكلام العرب شعرًا ونثرًا.
- أثناء توجيه قراءة شاذة قد يورد لها نظائر من الشواذ، نحو قراءة "ولا الضّألّين" بالهمزة، التي أورد لها نظيرا وهي قراءة "جأنٌّ".
- قد يذكر للقراءة الواحدة أكثر من وجه، كما فعل مع قراءة "أَنبِيهُم".
- قد يردّ معنى القراءة الشاذة إلى قراءة معنى الجماعة، كما في قراءة ربّنا لا تَزِغ قلوبنا"، حيث قال: " هذا في المعنى عائد إلى قراءة الجماعة: لا تَزِغ قلوبنا".
- قد يأخذ برأي الكوفيين من ذلك أخذه برأيهم في توجيه قراءة (جَهَرة) بفتح الهاء، حيث أجازوا تحريك الساكن إذا كان حرفا حلقيا، أما البصريين فلا يجيزون ذلك.

كانت هذه بعض النقاط التي سطرها " **ابن جني** " أثناء عملية توجيهه، أمّا من ناحية الاستشهاد فنورد مثالا على ذلك؛ وهو استشهاده على صحة جواز حذف المفعول بقراءة "**ابن عباس**" و"**عكرمة**" و"**عطاء**": (يخوّفكم أولياءه)، والتي وردت في قوله تعالى: { يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ} [آل عمران، الآية 175]، فالمفعول الأول هو المحذوف في القراءة الأولى، وليس هذا كقولنا: فلان يخوف غلامه ويخوف جاريته... فالمحذوف هنا هو المفعول الثاني[1].

وغير هذا المثال كثير، لأنّ " **ابن جني** " اعتبر القراءة الشاذة سنده في إقامة وإثبات قواعده النحوية، الصوتية والصرفية. وواصل عمله واِستثمر جهوده أيضا في حقل الاحتجاج بالشواذ؛ ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

- قام بتوجيه قراءات، في الوقت نفسه علماء العربية أنكروها، مثل قراءة: (وَيَهْلَكُ الحَرثُ والنَّسلُ)، وهي قراءة ردها " **ابن مجاهد** " واِحتج لها " **اِبن جني**" قائلا: " قد جاء له نظير، أعني قولنا هَلَكَ يَهْلَكُ، فَعَلَ يَفْعَلُ، وهو ما حكاه صاحب " **الكتاب** " من قولنا، أبى يأبى"[2].
- تعقب " **ابن جني** " توجيه " **ابن مجاهد** " لقراءة " **ابن عباس** " وغيره: (وإله أبيك)، فاعتبرها " **ابن مجاهد** " غير مستقيمة، وليست سليمة من حيث وجوه اللغة العربية، وأشار إلى ذلك " **ابن جني** " بقوله: "... وطريق ذلك أن يكون (أبيك) جمع (أب) على الصحة،

[1]– ابن جني، المحتسب، ج.1، ص.177.

[2]– عبد العليِّ المسئول، القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ص.ص.176،177 .

على قولك للجماعة: هؤلاء أبوان أحرار؛ أي: آباء أحرار"، فالمراد من لفظة (أبيك) الجماعة[1].

وصفوة القول أنّ القرآن الكريم هذّب اللّسان العربي من غريب الكلام، فتدافع العرب لقراءته وتلاوته، وخوفا من حدوث اختلافات في ضبط حروفه، مما يُنتج تعدّد أوجه القراءات، سارع أهل الاختصاص إلى وضع علم خاص به، يدرس الآيات القرآنية جملة وتفصيلا، ويبحث في حيثياتها، فأطلق عليه – علم القراءات–، والذي بدأت بوادر بزوغه في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته رضوان الله عليهم، فدامت نشأته قرونا، إلى أن توّج بمؤلفات احتوته، وتعدّ مؤلفات " **ابن الجزري** " من أهم الإنجازات في هذا الميدان.

وتعتبر القراءات القرآنية بنوعيها: المشهورة والشاذّة مادة من مواد الدرس اللّغوي، احتجّ بها كبار علماء العربية لتقعيد قواعدهم وتأصيلها، وقد نالت القراءات الشاذة نصيبا وافرا من الاهتمام فانفرد بها " **ابن جني** " في كتابه " **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ".

ونقول في الختام بأنّ كل من علم القراءات القرآنية والقراءات الشاذة وعلم الاحتجاج عبارة عن حلقات متكاملة، فهذه العلوم ليست وليدة اليوم، بل لها امتداد تاريخي تعود إلى زمن النبي صل الله عليه وسلم، وهي ذات منبع واحد فكل علم كمّل الآخر.

[1]– ينظر المرجع السابق، ص.178، وابن جني، المحتسب، ج.1، ص.112.

الفصل الثالث (التطبيقي):

الظواهر الدّلالية في المحتسب.

1-التعريف بالكتاب.

1-1-دوافع وضع "المحتسب".

1-2-موضوع ومنهج الكتاب.

1-3- مصادره.

2- المباحث الدلالية في المحتسب.

بعد أن تحدّثنا في الفصل الأول عن الدلالة، وفي الفصل الثاني عن القراءات القرآنية وبالأخص الشاذّة منها، من منظور نظري؛ ضبطنا المصطلحات، وبحثنا في تواريخ النشأة، وما هي الإنجازات المحققة في كلاَّ الميدانين، ها نحن قد وصلنا إلى المرحلة النهائية لعملنا، أين سنخصص هذا الفصل لتطبيق كل ما اِجتهدنا على تحصيله على كتاب " **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**" المنسوب لعبقري اللغة "**ابن جني**".

وحرصا منا على إتمام هذا الفصل، سنعتمد على الكتاب المذكور أعلاه، بالدرجة الكبيرة لِاعتباره مدونة البحث، وحتى نصل معه إلى بلوغ الهدف المسطّر من قبلنا، منحنا لهذا الفصل تسمية " **الظواهر الدلالية في المحتسب**". وقبل الخوض في اِستخراج هذه الظواهر وتحليلها وكذا التعليق عليها، نرى لزاما علينا أن نعرّف بهذا المؤلَف.

1- التعريف بالكتاب:

ألّف " **أبو الفتح** " مصنّفات كثيرة، ومن بينها مصنّفه الموسوم بـ: " **المحتسب** "، وضعه لقوة الرابط الموصول بينه وبين القراءات الشاذّة، جمع فيه علوم اللغة من نحو، وصرف، ودلالة، وأيضا تنفيذا لرغبة أستاذه " **الحسن بن أحمد بن عبد الغفار**" المعروف بـ: "**أبي علي الفارسي**" **(ت 377 هـ)** في وضع كتاب للاِحتجاج للقراءات الشاذّة، بعد أن ألّف كتابه " **الحجة في القراءات السبع** "، إلا أنّ الحظ لم يسعفه في ذلك[1].

جاء الكتاب على جزأين: جزء أول، وجزء ثان، وكانت فاتحته بقلم الأستاذ: محمد أبو الفضل إبراهيم، لتليه مباشرة مقدمة المؤلف؛ بداخلها نبذة عن حياة " **ابن جني** "، بعدها مقدّمة الكتاب، وقد نُشر من قبل وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة 1420هـ

[1]- ينظر ابن جني، المحتسب، ج.1، ص.4.

الموافق لـ 1999م، ويعتبر هذا المؤلَف واحدا من أبرز المؤلفات المهتمة بتخريج الشواذ وتوجيهها.

1-1- دوافع وضع "المحتسب":

كما هو معروف أنّ قبل كل نجاح اِجتهاد، وقبل بلوغ ذروة الشهرة عزيمة ومثابرة، كذلك الحال نفسه بالنسبة لصاحب " **المحتسب** "، حيث كانت له دوافع حفزته على التأليف، وهي كما يلي:

1-مواصلة ما بدأ به أستاذه، وبعبارة أوضح تحقيق حلم أستاذه، بتخصيص كتاب يدرس القراءات الشاذة، ويهتم بها[1].

2-الرغبة في تخليص القراءات الشاذة من الحملة الشرسة التي تعرضت لها من قبل علماء اللّغة، وإظهار مدى قوة الاحتجاج للشاذّ، قال " **ابن جني** " في هذا الصدد: "... غرضنا منه أن نرى وجه قوّة ما يسمّى الآن شاذا، وأنه ضارب في صحّة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مرى أنّ العدول عنه إنّما هو غضّ منه أو تهمة له"[2].

3-صنع " **ابن جني** " للشواذ ما لم يصنعه أحد من معاصريه ومتقدّميه، فقد أقبل كله إصرار وعزيمة على الاحتجاج للشاذ في كتابه هذا، الذي جاء مستقلا به. قال: " ... وكان من مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتابا فيه،... وإنّما ذكروه مرويا مسلما، مجموعا أو متفرّقا "[3]، بمعنى أنّ الشواذ لم تخصّص له مؤلفات لوحده، حتّى حصل ذلك على يده.

---

[1]- المرجع السابق، ص.4.

[2]- المرجع نفسه، ص.11.

[3]- نفسه، ص، ص.11، 12.

1-2- موضوع ومنهج الكتاب:

يعتبر كتاب " **ابن جني** " ملتقى كافة علوم العربية، بناه اِعتمادا على كتاب الله تعالى وأحاديث نبيّه عليه الصلاة والسلام، إلى جانب أقوال العرب شعرا ونثرا، وقد ركّز داخل "**المحتسب**" على الشواذ، فاِنتهج منهجا دقيقا، إذْ ذكر كافة السور القرآنية بداية من سورة الفاتحة، ليختتمها بسورة الناس، ثم أشار إلى القراءات الشاذة لكلّ سورة، حيث يسمّي اسم القارئ ويلحق به قراءته.

والأمثلة على هذا كثيرة، فمثلا قوله: "ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وأبي رجاء بخلاف: وإله أبيك"[1] بالتوحيد. ليشرع في آخر المطاف بتوجيهها. ولكن إذا لم يجد للقراءة وجها من وجوه العربية المناسب لتخريجها، يردّها أو يضعفها[2].

وممّا لا شكّ فيه أنّ " **ابن جني** " سار على نهج أستاذه " **أبي علي الفارسي** "، فكتابه "**المحتسب**" لا يختلف كثيرا عن كتاب "**الحجة**" من حيث الموضوع المعالج والمنهج المتّبع، وهذا الأمر يعنى أنه أخذ بتوجيهاته ونصائحه، واِتّخذه قدوة له، فحقّق حلم أستاذه في وضع مؤلّف في رفوف المكتبات العربية لصالح القراءات الشاذة، والذي تجسّد على شاكلة مصنّفه "**المحتسب**".

[1]- المرجع السابق، ص.112.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص.12.

1-3- مصادره[1]:

أسَّس " **ابن جني** " كتابه اِعتمادا على مجموعة معتبرة من المصادر، فأثبت صحّة نقله، وأحصاها في مقدِّمة كتابه، ومن هذه المصادر نذكر:

1-كتاب " **أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد** " (ت 324 هـ)، الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

2-كتاب " **أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني** " (ت 250 هـ).

3-كتاب " **أبي علي محمد بن المستنير قطرب** " (ت 206 هـ).

4-كتاب " **المعاني** " لـ " **أبي إسحاق الزجاج** " (ت 311 هـ).

5-كتاب " **المعاني** " لـ " **أبي زكريا الفراء** " (ت 207 هـ).

ولقد نقل أيضا عن علماء اللغة، أمثال "**سيبويه**" (ت 180هـ) حيث كان يؤيّده مرات ويخالفه مرات أخرى في بعض المسائل اللغوية والنحوية.

2- المباحث الدلالية في المحتسب:

- **الدلالة الصوتية [2]:**

لقد أشرنا في بحثنا هذا إلى الدلالة الصوتية عند "**ابن جني**" أو كما سمّاها الدلالة اللفظية، ولا بأس أنْ نذكّر بأهم ما تناولته هذه الدلالة، والتي حاولنا تلخيصها في المخطّط التوضيحي الآتي:

[1]- ينظر المرجع السابق، ص.15.

[2]- ينظر ص. ص. 23، 24 من هذا البحث.

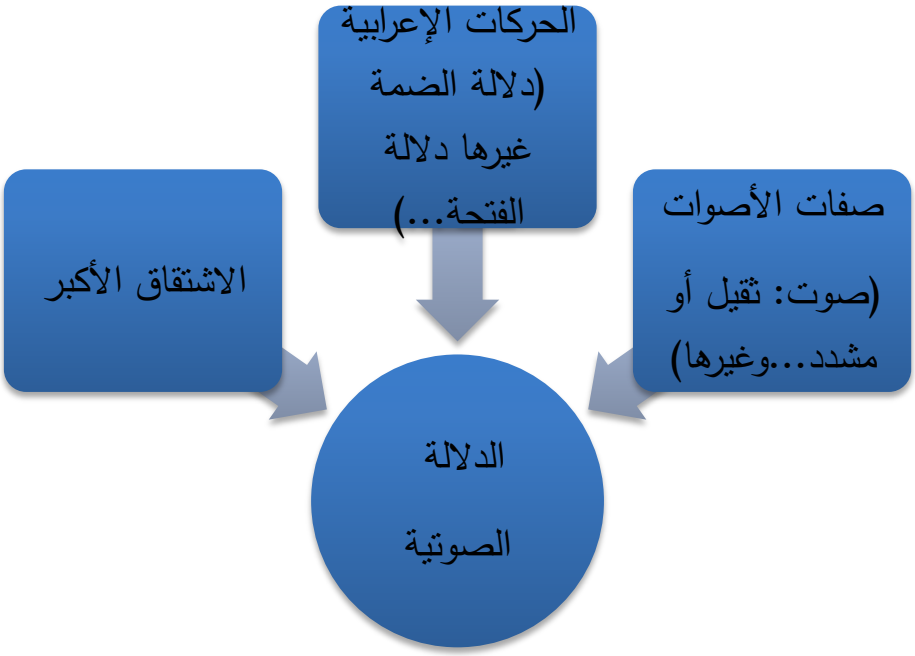

إنّ المتأمّل في هذا المخطط يلاحظ أنّ الدلالة الصوتية تضمّ كلّ ما له علاقة بالصوت اللّغوي، ويتحكّم في تغيير دلالته، سواء داخل التركيب أو مستقلا عنه، كما الحال بالنسبة لصفات الأصوات، فالصوت المشدَّد تختلف دلالته تماما عن دلالة الصوت الرَّخو،....وغيرها.

ولقد جاءت العديد من القراءات الشاذة في "**المحتسب**" على هذا الصنف من الدلالة، نذكر بعضها:

القراءات الشاذة	آراء " **ابن جني**"
1- قراءة الزهري: (وإذا فرّقنا بكم البحر) [البقرة، الآية 50].	- قال **أبو الفتح:** "معنى فرقنا أي جعلناه فرقا، ومعنى فرّقنا: شققنا بكم البحر، وفرّقنا أشدّ تبعيضا من فرقنا"[1].
2- ما رواه الواقدي عن عباس عن الضبي عن أصحابه: (مرغما)، وقراءة الجماعة: (مراغما) [النساء، الآية 100].	- قال **أبو الفتح:** "ينبغي أن يكون هذا إنّما جاء على حذف الزيادة من راغم، فعليه جاء مرغم؛ كمضرب من ضرب، ومذهب من ذهب. وأصل هذه المادة ر غ م، فمنه الرغام التراب وهو إلى الذلّ والشدّة، والمراغم: المعار الذي يروم إذلال صاحبه"[2].
3- قراءة أبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار: (حرث حرج)، وقراءة الناس: (حجر) [الأنعام، الآية 138].	- قال **أبو الفتح:** "... تقلب الأصل الواحد والمادة الواحدة إلى صور مختلفة يخطمها كلها معنى واحد، ووسمناه بباب الاشتقاق الأكبر... كذلك أيضا يقال: حجر، جرح، حرج، رجح، جحر... فكذلك قوله تعالى: "حرث حرج" في معنى حجر، معناه عندهم: أنّها ممنوعة محجورة أن يطعمها إلاّ من يشاءون أن يطعموه إيّاها بزعمهم"[3].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.1، ص.82.

[2]- المرجع نفسه، ص.195.

[3]- نفسه، ص، ص.231، 232.

4- قراءة الحسن بخلاف وأبي رجاء الجحدي وقتادة ويعقوب: (وفصله في عامين) [لقمان الآية 14].	- قال **أبو الفتح:** "الفصل أعم من الفصال؛... ومعنى ف ص ل قريب من معنى ف س ل؛ وذلك أن الفسل الدنيّ من الناس، والدنيّ هو الساقط، وإذا سقط الإنسان انقطع عن معظم ما عليه الناس، ولذلك قالوا: فيه هو ساقط. ومنقطع ومتأخر، فالمعنى إذا راجع إلى الانفصال والانقطاع"[1].
5- قراءة الحسن: (فراغ عليهم سفقا باليمين) [الصافات الآية 93].	- قال **أبو الفتح:** "قد قالوا: صفقت الباب، وسفقته، والصاد أعلى. وقالوا أيضا: أسفقته إسفاقا، وقالوا في التصفيق: التصفاق، إذا كثر ذلك، كالتضراب والتلماح والتمشاء وروى عن الحسن أيضا: "صفقا""[2].
6- قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبيّ الزناد: (يا حسره على العباد) [يس الآية 30].	- قال **أبو الفتح:** " أما "يا حسره"، بالهاء ساكنة ففيه النظر، وذلك أنّ قوله: "على العباد" متعلق بها، أو صفة لها، وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه، ووجه ذلك عندي ما أذكره، وذلك أنّ العرب إذا أخبرت عن الشيء –غير معتمدته ولا معتزمة عليه – أسرعت فيه، ولم تتأنّ على اللفظ المعبّر به عنه "[3].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.2، ص.167.

[2]- المرجع نفسه، ص.221.

[3]- نفسه، ص.208.

ما يلاحظه المتأمل في هذه القراءات الشاذة، أنها جاءت للدلالة على عدَّة معان، إذ كلّ قراءة ولها ما يميزها عن غيرها؛ فمثلا: في القراءة الأولى بمجرد نطق الفعل (فرّقنا) ندرك أن هناك تركيز على حرف الراء، حدث له ما يسمى بالإدغام، فصار الفعل مشدّدا مقارنة بالفعل (فرقنا) مخفف الراء، حسب ما جاء على لسان " **ابن جني** "، فالشدّة المرسومة على (فرّقنا) في القراءة، حملت معنى التكثير، أي هناك نوع من المبالغة في الفعل.

يندرج أيضا ضمن إطار الدلالة الصوتية؛ ذلك التقارب بين الحروف ليتولّد في الأخير تقارب في المعاني، وهذا ما لمسناه في ما رواه " **الواقدي** " وفي قراءة الجماعة حول لفظة (مرغما، ومراغما) إذ نستطيع أن نقول بأنّ الجذر واحد وهو متعلق بمادة (ر غ م)، فقط اِختلفت طريقة التركيب وترتيب الأصوات، ولكن هذا التفاوت لا يمنع من حدوث تلاحم بين معاني اللفظتين.

وأشار " **ابن جني** " إلى ظاهرة الاشتقاق، وقد خرّج العديد من القراءات الشاذة في "**المحتسب**" على هذا النوع من الدلالة، واِخترنا قراءة " **أبيّ بن كعب** " وآخرين وقراءة الجماعة أنموذجا للتحليل، وكان موضع المناقشة الكلمتين (حرج، وحجر)، إذْ يتّضح لنا جليا أنّهما اِنبثقتا من جذر واحد، فحدث تلاعب بين الحروف، وتغيير في المواقع بين الأصوات، ممّا خلق ألفاظ جديدة نحو: (جحر، جرح، رجح... وغيرها)[1]، تحمل معاني مختلفة، في حين الأصل يبقى واحدا.

ولقد صرَّح " **أبو الفتح** " أنّ هذه القراءة تنتمي إلى الظاهرة اللغوية "**الاشتقاق الأكبر**"؛ وهو تفرّع لصور عديدة من أصل صورة واحدة، أو نقول بعبارة أخرى هو تشكيل صور عديدة من مادة لغوية واحدة، وقد تطرقنا إليه مسبقا في الفصل الأول، وكان هذا اِستنادًا إلى مؤلفه

[1]– ينظر ابن جني، المحتسب، ج.1، ص.232.

"**الخصائص**" أين عقد له بابا خاصا به[1]، وهذه الظاهرة هي التي جعلت اللغة العربية مميّزة؛ كونها لغة اِشتقاقية.

اِنشغل " **ابن جني** " في الدلالة الصوتية، بالبحث عن الاختلافات بين المعاني، وهذا ما تجسّد في القراءة رقم (4) ورقم (5)؛ فإذا عدنا إلى قراءة " **الحسن** " وآخرين إلى جانب ما قاله "**أبو الفتح**" في هذا الصدد؛ يبدو لنا بوضوح الفرق في المعنى بين (فصل) و(فسل)، فالأول يدل على معنى الرضاعة، في حين الثاني مرتبط بمعنى الدنيء من الناس.

والأمر ذاته ينطبق على الفعل (صفقت) بالصاد و(سفقت) بالسين، فالفرق بينهما يتوقف على استبدال الصاد بالسين، فصوت الصاد أعلى من صوت السين، كما أنّ صدى ووقع الأول على أذن المستمع أقوى بكثير من الثاني؛ ومن هنا تبرز دلالة كلّ حرف وقيمته بداخل الكلمة، فأصلا لكل صوت مهمة في اللّغة خُلق لأجلها، وفي هذا المقام استطاع " **ابن جني** " أن يربط بين جرس الحروف ودلالاتها، وهذه خاصية من خصائص الدلالة الصوتية.

أما ما يخص قراءة " **الأعرج** " وآخرين، من الوهلة الأولى نظن أنها قراءة عادية؛ تركيب للكلمات فيما بينها، لكن حقيقة الأمر هي خلاف ذلك، لأننا نحس بوجود موسيقى ونغم في الكلام، نتيجة مماطلة في نطق عبارة (يا حسره)، وهو ما يعرف في اللغة العربية بالتنغيم، و"**ابن جني** " لم يستعمل هذا المصطلح، إلا أنه أشار إليه بطريقة غير مباشرة، إذ قال: (... أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقي، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم)[2].

إنّ هذه الظواهر الصوتية بأكملها تساهم بشكل كبير في إحداث تغيير في المعنى، فالصوت اللغوي بالرّغم من مزاياه المتعددة، مثلا: (الصوت الشديد يشير إلى أمور قوية، في حين الصوت الّرخو يعبّر عن أمور في منتهى الليونة)، إلا أنّه لا يمدنا في أغلب الأحيان

[1]– ينظر ابن جني، الخصائص، ج.2، ص.133. وينظر ص.21 من هذا البحث.

[2]– ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج.1، ص.22.

بمعانٍ مضبوطة، حتى ينتظم ويدخل في تركيب المفردة والجملة، وهذا ما يطلق عليه بالدلالة الصوتية؛ تلك الدلالة التي تجري مقابلة بين اللّفظ والصوت في الطبيعة، وقد تطرق " **أبو الفتح**" إلى هذه الأمور في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" قائلا: (فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع، ونهج مُتْلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمْت الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدِّلونها ويحتذُونها عليها، وذلك أكثر ممّا نقدِّره، وأضعاف ما نستشعره)[1].

- **الدلالة الصرفية:**

أو كما فضّل " **ابن جني** " مناداتها بـالدلالة الصناعية، دلالة الصيغ والأوزان؛ تبحث في بنية اللفظة وجذرها الأصلي، وما يطرأ عليها من تغيير، نحو: الزيادة، الحذف... وغيرها، أي أنّ هيكل المفردة هو الذي يبرز وظيفتها الصرفية.

وتنحصر الدلالة الصرفية في عدّة محاور، نذكر أهمها موضّحة في الشكل الآتي:

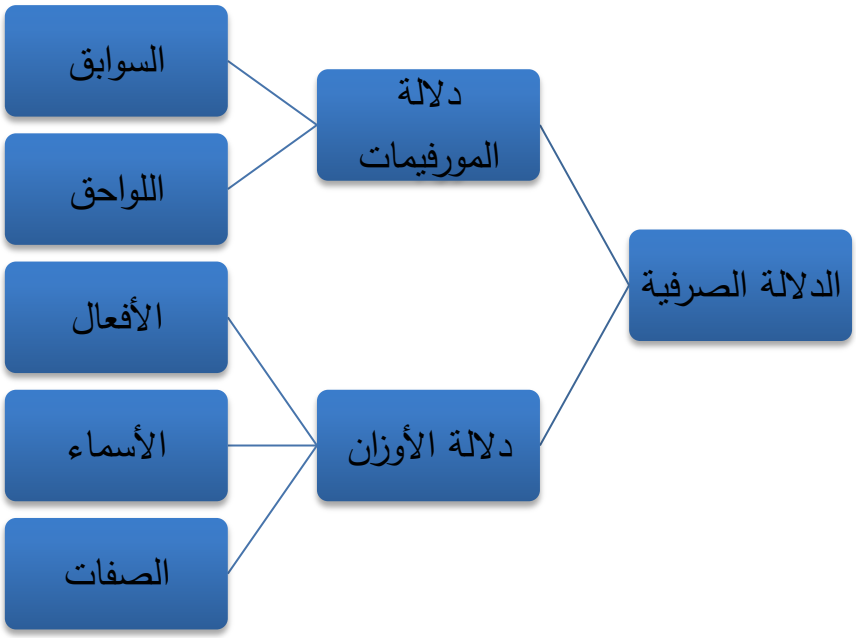

[1]– ابن جني، الخصائص، ج.2، ص.157.

وتجدر الإشارة إلى أنّ " **أبا الفتح** " اِهتم بهذا الصنف من الدلالة، وأبرز دليل على ذلك، أنّها حاضرة في صفحات كتبه، ونحن بدورنا تطرقنا إليها، وهنا أيضا سنحاول أن نكشف عن مواطن الدلالة الصرفية في مؤلفه " **المحتسب** "، كما يلي:

القراءات الشاذة	آراء "**ابن جني**"
1- قراءة ابن عباس: (وأشرقت الشمس) [الزمر الآية 69].	- قال **أبو الفتح:** "شرقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وصفت، وشرقت: إذا احمرّت لقربها من الأرض؛ فتكون هذه القراءة التي هي "أشرقت" منقولة من شرقت: إذا طلعت. وأشرقت أبلغ منه؛ لقوة نورها وإضاءتها"[1].
2- قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أنَّما فتّنَّاه فاستغفر ربَّه) [ص، الآية 24].	- قال **أبو الفتح:** "أما "فتّناه" بتشديد التاء والنون ففعلناه، وهي للمبالغة، ولما دخلها معنى نبّهناه ويقّظناه جاءت على فعّلناه؛ انتحاء للمعنى المراد"[2].
3- قراءة ابن عباس بخلاف والأعرج وقتادة وسفيان بن حسين: (خالصة) [الأنعام، الآية 139].	- قال **أبو الفتح:** "أما قراءة العامة: "خالصة" فتقديره: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لنا؛ أي: خالص لنا، فأنّث للمبالغة في الخلوص، كقولك: زيد خالصتي،... والتاء فيه للمبالغة"[3].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.2، ص. ص.239، 240

[2]- المرجع نفسه، ص.232.

[3]- المحتسب، ج.1، ص.232.

4- قراءة ابن مسعود: (إلى الفتنة رُكّسوا فيها) [النساء الآية 91].	- قال **أبو الفتح:** "وجه ذلك أنّه شيء بعد شيء؛ وذلك لأنّهم جماعة، فلما كانوا كذلك وقع شيء منه بعد شيء فطال، فلاق به لفظ التكثير والتكرير، كقولك: غلّقت الأبواب، وقطّعت الحبال، وقد يكون معنى التكرير مع لفظ التخفيف "[1].
5- قراءة أبي كعب والحسن وابن أبي إسحاق: (صاد) بكسر الدال، وقرأ الثقفي: (صاد والقرآن) بفتح الدال [ص، الآية 1].	- قال **أبو الفتح:** " المأثور عن الحسن أنّه إنّما كان يكسر الدال من "صاد" لأنه عنده أمر من المصاداة، أي: عارض عملك بالقرآن. قال أبو علي: هو فاعل من الصدى، وهو يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة "[2].
6- قراءة ابن السميفع: (حصْب جهنم) ساكنة الصاد. وقرأ ابن عباس: (حضَب) بالضاد مفتوحة. وقرأ كثير عزة: (حضْب) ساكنة الضاد [الأنبياء الآية 98].	- قال **أبو الفتح:** "أما الحضب بالضاد مفتوحة، وكذلك بالصاد غير معجمة فكلاهما الحطب، ففيه ثلاث لغات: حطب، وحضب، وحصب... فأما "الحصب" ساكنا بالصاد والضاد فالطرح، فقراءة من قرأ: "حضب جهنم" و"حصب جهنم" بإسكان الثاني منهما إنّما هو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول"[3].

[1]- المرجع السابق، ص.194.

[2]- ابن جني، المحتسب، ج.2، ص.230.

[3]- المرجع نفسه، ص.67.

7- قراءة سالم أبي الجعد: (وإدبار النجوم) [الطور الآية 49].	- قال **أبو الفتح:** "هذا كقولك: في أعقاب النجوم، قيل له: دبر، كما قيل له: عقب"[1].
8- قراءة يعقوب: (الكُذبَ) [النحل الآية 116].	- قال **أبو الفتح:** "... وأمّا "الكُذُبَ" بالنصب فجمع كذاب، ككتاب وكتب "[2].
9- قراءة علقمة ويحيى: (رِدَّت إلينا) [يوسف الآية 65].	- قال **أبو الفتح:** " (فُعِل) من ذوات الثلاثة إذا كان مضعّفا أو معتلا عينه يجيء عنهم على أضرب: لغة فاشية، والأخرى تليها، والثالثة قليلة، إلا أنّ المضعّف مخالف لمعتل العين فيما أذكره. أمّا المضعّف، فأكثره عنهم ضمّ أوله كشُدَّ ورُدَّ، ثم يليه الإشمام، وهو الأول وكسره، إلاّ أنّ الكسرة هنا داخلة على الضمة؛ لأنّ الأفشى في اللغة الضم. والثالث-وهو أقلها- شِدَّ ورِدّ وحِلَّ وبِلَّ، بإخلاص الكسرة، فهذا المضعّف "[3].

[1]- المرجع السابق، ص.292.

[2]- المرجع نفسه، ص، ص.12،13.

[3]- المحتسب، ج.1، ص.345.

يتراءى لنا من خلال تحليل هذه القراءات الشاذّة؛ أنها جاءت على أوزان وصيغ مختلفة، وكلّ واحدة تشير إلى معنى معيّن بحسب صيغتها.

فما نلاحظه في القراءة الأولى أنّ الفعل (أشرقت) ورد بصيغة (أفعل)، المغايرة للصيغة (فعل)، وهذا ما خلق فرقا بين الفعل (شرقت) والفعل (أشرقت) من حيث الدلالة؛ فالأول جاء بمعنى شرقت وطلعت الشمس فقط، في حين الثاني يُقصد به طلوع الشمس وإضاءته للأرض، أي: بلغت الشمس ذروة الشروق بسبب نورها الساطع، إذن الصيغة الصرفية (أفعل) تفيد البلوغ، والذي وجهّها نحو هذا المعنى هو الوحدة الصوتية (الهمزة)، فبدخولها على الجذر الأصلي، حوّلته إلى صيغة أخرى، ومنحت له دلالة مختلفة.

وجاء الفعل (رِدَّت) في القراءة الأخيرة، المنسوبة إلى " **علقمة** " و" **يحيى** "، بصيغة أخرى وهي (فُعِل)، أمّا بشأن التغيّر الذي حصل له، فرسمت الكسرة على أوله عوض الضمة، فقد علَّق " **ابن جني** " على ذلك، وأشار كذلك " **سيبويه** " إلى كسر الأول في لغة العرب، قائلا: "وِاعلم أنّ لغةً العرب مطَّردة يجري فيها فُعل من دَرَرتُ مجرى فُعل من قُلت، وذلك قولهم: قد رِدَّ وهِدَّ، ورَحُبَتْ بلادك وظِلَّتْ، لمَّا أسكنوا العين ألقوا حركتها على الفاء، كما فعل في جِئتُ وبِعتُ... وِاعلم أنَّ رُدَّ هو الأجود الأكثر"[1]، إذن كلُّ ما في الأمر أنّ المسألة راجعة إلى القواعد التي وضعها العرب، وأسقطوها على جميع ألفاظ العربية.

والفعل (ردّت) ورد بصيغة المبني للمجهول في القراءة، للدلالة على المفعول لا الفاعل، عكس الفعل المبني للمعلوم الحامل للصيغة الصرفية (فَعَل).

ومعنى المبالغة واضح في لفظة (فتَّنَّاه) الواردة في قراءة " **عمر بن الخطاب** " رضي الله عنه، وِاكتسبت اللفظة أيضا معنى التكثير حسب ما جاء على لسان " **النَّحَّاس** ": " وعن عمر

[1]– سيبويه، الكتاب، ج.4، ص،ص.422، 423. وينظر خالد محمد عيال سلمان، أثر المحتسب في الدراسات الصرفية، ط.1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص، ص.147، 148.

بن الخطاب أنه قرأ أنما فتّتاه بتشديد التاء والنون على التكثير"[1]، وقد عُرفت هذه الدلالة من خلال البنية الأصلية للكلمة وهي: (فعّل)، وكلّ ما جاء على نفس الصيغة، يحمل معنى المبالغة والتكثير. وكان لنا أن وجدنا في هذه القراءة صورة صرفية إضافية، متمثلة في التضعيف؛ وهي مورفيم بداخل الكلمة، تساهم بدورها في تحديد الدلالة.

وعثرنا أيضا على دلالة التكثير في قراءة " **ابن مسعود** "، وحُدد مكانها بالتدقيق في الفعل (رُكِّسوا)، والذي جاء بصيغة (فُعّل).

لقد أشارت قراءة " **ابن عباس** " (خالصة) إلى دلالة المبالغة أيضا، فزيادة التاء في آخر الكلمة أعطى إيّاها هذه الدلالة، وحسب ما قاله " **أبو الفتح** "؛ أنّ تقدير القراءة هو: خالص لنا، فالتاء إذا ليست للتأنيث إنّما هي للمبالغة.

ومن الأبنية الصرفية التي خرّج عليها " **ابن جني** " قراءاته بناء: (فاعل) الحامل لدلالة المشاركة في الفعل، ونستشهد هنا بقراءة " **أبيّ كعب** " و" **الحسن**" و" **ابن أبي إسحاق**": (صاد)؛ فالكلمة جاءت على وزن (فاعل)، وكذلك قول " **أبي علي** " المذكور بمقابل القراءة، أنّ (صاد) فاعل من الصدى.

ووردت مجموعة من الأمثلة عن الأبنية الصرفية للأسماء، بناء (أفعال، وفُعل)، فالأول جاء في قراءة " **سالم أبي الجعد** ": (إدبار)، وهو جمع تكسير للمفرد (دبر)، ونحن كنا على علم مسبقا أنّ جمعَ التكسير هو: الجمع الذي لا يبقى لا صورة مفرده عند التحويل، نحو: (رجل: رجال).

[1]– أبو جعفر النّحّاس، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه, عبد المنعم خليل إبراهيم، ج.3، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، ص.310.

وجاء الوزن (أفعال) للدلالة على القلّة، و"يَطّرد فيما كان على وزن "فَعْل" معتل العين، مثل: ثوب: أثواب ...وجاء على وزن "فِعْل" مثل: حِزْب: أحزاب، وعلى وزن فُعْل: صُلْب: أصلاب"[1].

أمّا البناء الثاني (فُعل)، في قراءة " **يعقوب** ": (الكُذبَ)؛ كذلك هو جمع تكسير للمفرد (كذاب)، حسب رأي " **ابن جني** "؛ إذْ مثله مثل: (كتاب وكتب)، في حين أنّ " **أبا حيان** " رأى أنّ (الكُذب) جمع (كَذُوب)، ونقل عن صاحب " **اللوامح** " قوله: أو جمع كاذب أو كذّاب[2].

وآخر صورة صرفية أحصيناها من " **المحتسب** " كانت في قراءة " **ابن السميفع** " و"**ابن عباس** " و" **كثير عزة** " للفظة (حصب وحضب)، والتي وردت بصيغة (فَعْل) وهي مصدر، أوتي بها للدلالة على اِسم المفعول، بمعنى تفاديا للغموض والإبهام وُضِع المصدر، وحتى يدل على اسم المفعول.

لقد توصّلنا بعد دراستنا للدلالة الصرفية في كتاب " **المحتسب** " إلى جملة من النتائج، من أهمها: أنّ هذه الدلالة برزت من خلال المباني والصيغ الصرفية، التي خرّج " **ابن جني**" العديد من القراءات الشاذة عليها، وأدرك الوظيفة الدلالية للكثير من الحروف الزائدة، على الجذر الأصلي للكلمة، والتحوّل من صيغة إلى أخرى؛ يفيد الخروج من محيط دلالة، للدخول إلى عالم دلالة جديدة، ربّما أقوى من التي كانت عليها، وربما أضعف.

[1]– عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى علم التصريف، ج.2، ط.1، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1424هـ . 2003م، ص.776.

[2]– ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح. صدقي محمد جميل، ج.6، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ص.607.

- **الدلالة النحوية:**

أو الدلالة المعنوية عند " **ابن جني** "، وهي دلالة تأليف الألفاظ فيما بينها، وتركيبها تركيبا متكامل المعنى، وتختص بالعلاقات في وسط الجملة، فهي ترى أنّ المفردة منعزلة عن التركيب لا تحمل دلالة أساسية في اللغة.

برزت الدلالة النحوية عند " **ابن جني** " في حديثه عن مجموعة من المباحث النحوية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعنى، ويمكن ذكرها مختصرة في المخطط الآتي:

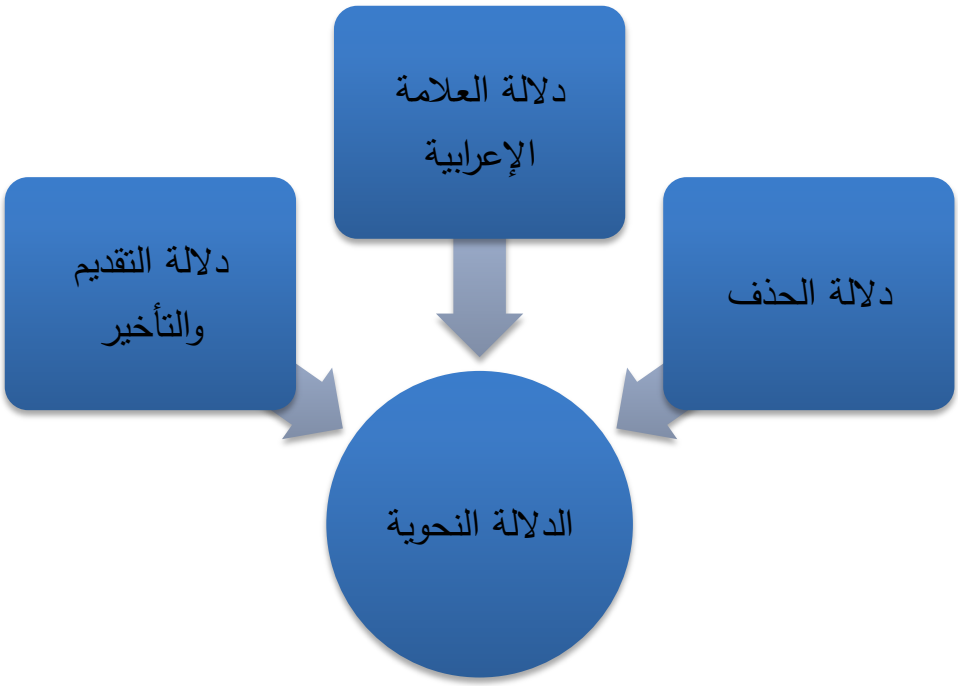

فقد ذهب " **أبو الفتح** " في " **المحتسب** " إلى ذكر هذه القضايا النحوية، وربطها بالدلالة، فخرّج العديد من القراءات عليها، ساعيا من خلالها إلى تحديد الوظيفة الدلالية لهذه القواعد النحوية؛ وهذه بعض منها:

القراءات الشاذة	آراء " **ابن جني** "
1- قراءة الحسن: (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون) [البقرة الآية 161].	- قال **أبو الفتح:** "هذا عندنا مرفوع بفعل مضمر يدل عليه قوله (سبحانه): "لعنة الله" أي: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون؛ لأنه إذا قال: عليهم لعنة الله، فكأنه قال: يلعنهم الله"[1].
2- قراءة ابن مسعود والحسن والأعمش: (يوم يقال لجهنم) [ق الآية 30].	- قال **أبو الفتح:** "هذا يدل على أنّ قولنا: ضرب زيد ونحوه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به. بل لأنّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بزيد،... وهذا يؤكّد عندك قوة العناية بالمفعول به "[2].
3- قراءة ابن مسعود وعلقمة ويحيى ومجاهد وطلحة: (أينما يوجِّه) [النحل الآية 76].	- قال **أبو الفتح:** " أما "يوجه" بكسر الجيم فعلى حذف المفعول، أي أينما يوجهه وجهه؛ قال أبو الفتح: أما "يوجه"؛ فحذف للعلم به "[3].
4- قراءة أبي رجاء: (ما ننسخ من آية أو نُنسِّها) مشددة السين [البقرة الآية 106].	- قال **أبو الفتح:** أما "نُنَسِّها" فنفعِّلها من النسيان، فيكون فعَّلت في هذا كأفعلت في قراءة أكثر القراء: "نُنسِها"، وهو في الموضعين على حذف المفعول الأول؛ أي: أو ننس أحدا إياها "[4].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.1، ص.116.

[2]- المحتسب، ج.2، ص.284.

[3]- المرجع نفسه، ص، ص.11، 12.

[4]- المحتسب، ج.1، ص. 103.

5- قراءة تمام بن عباس بن عبد المطلب: (إنّما يبايعون الله) [الفتح الآية 10].	- قال **أبو الفتح:** "هو على حذف المفعول؛ لدلالة ما قبله عليه، فكأّنه قال: إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونك لله؛ فحذف المفعول الثاني؛ لقربه من الأول، وأنه أيضا بلفظه وعلى وضعه"[1].
6- قراءة رؤبة: (مَثَلا بعوضةٌ) بالرفع [البقرة الآية 26].	- قال **أبو الفتح:** " وجه ذلك: أنّ "ما" ها هنا اِسم بمنزلة الذي؛ أي: لا يستحى أن يضرب الذي هو بعوضة مثلا، حذف العائد على الموصول وهو مبتدأ"[2].
7- ما رواه ابن طاوس عن أبيه أنه قرأ: (ويسألونك عن اليتامى قل أصلِح إليهم خيرٌ) [البقرة الآية 220].	- قال **أبو الفتح:** "خيرٌ مرفوع؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أصلح إليهم فذلك خير. وإذا جاز حذف هذه الفاء مع مبتدئها في الشرط الصحيح "[3].
8- قراءة أبي عبد الرحمن: ("فجزاء" رفع منون، "مثل" بالنصب) [المائدة الآية 95].	- قال **أبو الفتح:** "(مثل) منصوبة بنفس الجزاء؛ أي: فعليه أن يجزي مثل ما قتل، (فمثل) إذن في صلة الجزاء، والجزاء مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف؛ أي: فعليه جزاء مثل ما قتل"[4].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.2، ص.275.

[2]- المحتسب، ج.1، ص.64.

[3]- المرجع نفسه، ص.122.

[4]- نفسه، ص، ص.218، 219.

9- قراءة الحسن: (اتّخذوا إيمانهم) بكسر الهمزة [المجادلة الآية 16].	- قال **أبو الفتح:** "هذا على حذف المضاف، أي: اتّخذوا إظهار إيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين، وهذا حديث المنافقين المعروف"[1].
10- قراءة ابن يعمر والجارود بن أبي سبْرة وآخرين: (من قُبُلُ) [يوسف الآية 26] و (مِنْ دُبُرُ) بثلاث ضمات من غير تنوين [يوسف الآية 27].	- قال **أبو الفتح:** "ينبغي أن يكونا غايتين؛ كقول الله سبحانه: "لله الأمر من قبل ومن بعد" [الروم الآية 4] كأنه يريد: وقدَّت قميصه من دُبُره، وإن كان قميصه قُدَّ من قُبُلِه، فلما حذف المضاف إليه-أعني: الهاء، وهي مرادة- صار المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف إليه غاية له"[2].
11- قراءة ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبي بكير: (في يوم عاصف) بالإضافة. [إبراهيم الآية 18].	- قال **أبو الفتح:** "هذا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ أي: في يوم ريح عاصف"[3].

[1]- ابن جني، المحتسب، ج.2، ص.315.

[2]- المحتسب، ج.1، ص.338.

[3]- المرجع نفسه، ص.360.

12- قراءة الأعرج والشعبي والحسن والأشهب: (شهادةٌ بينكم) رفع، وعن الأعرج، بخلاف: (شهادةً بينكم) نصب. [المائدة الآية 106].	- قال **أبو الفتح:** "... وأمّا شهادة بينكم بالنصب والتنوين، فنصبها على فعل مضمر؛ أي: ليقم شهادة بينكم اِثنان ذوا عدل منكم،... وقال: أما (شهادةً) فهي أعم من قراءة الجماعة: (شهادةَ الله) بالإضافة، غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف"[1].
13- قراءة أنس بن مالك: (كشجرةٍ طيبةٍ ثابتٍ أصلُها) [إبراهيم الآية 24].	- قال **أبو الفتح:** "قراءة الجماعة: "أصلُها ثابت" أقوى معنى؛ وذلك أنك إذا قلت: ثابت أصلها فقد أجريت ثابتا صفة على شجرة، وليس الثبات لها؛ إنّما هو للأصل... وإذا كان الثبات في الحقيقة إنّما هو للأصل فالمعتمد بالثبات هو الأصل، فبقَدْر ذلك ما حسن تقديمه عناية به ومسارعة إلى ذكره"[2].

يتّضح لنا من خلال العيّنات المأخوذة من كتاب "**المحتسب**"، الاهتمام الذي حظي به علم النحو من طرف "**ابن جني**"، فقد تناول جملة وتفصيلا ظواهر أساسية؛ تدخل في تركيب الجملة، نحو: الحذف، والتقديم والتأخير وغيرها.

ولا يخفى علينا أنّ الجملة هي مدار الدراسة النحوية، بنوعيها: الاِسمية والفعلية، وكلّ واحدة منها تحوي على ركنين أساسيين: المسند والمسند إليه، ولكن أوقات كثيرة أين يختل التوازن بينها، إما أن يحذف واحد منهما، أو يقدّم الأول فيصير الثاني متأخرا عنه، لتتجسّد لنا ظاهرة الحذف في القراءة الأولى؛ أين أُضمر فيها الفعل، مع إبقاء قرينة تدل عليه، وأشار

[1]- المرجع السابق، ص، ص.220، 221.

[2]- المرجع نفسه، ص.362.

صاحب " **المحتسب** " أعلاه إلى أنّ المراد من القول هو: (يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعين)؛ فالفعل حُذف وحلَّت عبارة (لعنة الله) محله للدلالة عليه.

ويأتي الحذف على صور متعدّدة، ووراء كلّ صورة غرض، فلو تأملنا القراءة رقم (2) لوجدنا أنّ الحذف وقع على الفاعل، لدلالة العناية والإهتمام بالمفعول، في حين حدث العكس في قراءة " **ابن مسعود** " و" **علقمة** " وآخرين، حيث اِسْتُغني عن المفعول به، لدلالة العلم به، والشيء نفسه بالنسبة للقراءة رقم (4).

ولاحظ " **ابن جني** " حذف المفعول الثاني في قراءة " **تمام بن عباس بن عبد المطلب**"، بسبب وقوع تشابه بينه وبين المفعول الأول؛ مما اِستدعى الأمر الاستغناء عن واحد، فوقع الاختيار على الثاني، وتقدير الكلام: (إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونك لله)، فموضع الحذف هنا كان لدلالة تفادي التكرار، وتسهيل وصول المعنى إلى القارئ. وسار على الرأي نفسه "**أبو حيان**" لقوله: "وقرأ تمام بن العباس بن عبد المطلب: إنما يبايعون لله، أي لأجل الله ولوجهه والمفعول محذوف، أي إنما يبايعونك لله"[1].

وكما يقع الحذف على مستوى الجملة الفعلية، فإنّه أيضا يصيب طرفي الإسناد للجملة الاسمية، فيحذف المبتدأ، وأوردنا في هذه المسألة قراءتين شاذتين؛ منها قراءة " **رؤبة** " وقد أقرّ فيها " **ابن جني** " أنّ (ما) اِسم موصول، حُذف منه العائد وهو المبتدأ؛ أي: (لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة مثلا)، ومنها قراءة " **ابن طاوس** ": (ويسألونك عن اليتامى قل أصلِح إليهم خيرٌ)؛ وقد وجّه " **أبو الفتح** " القراءة على أنّ (خيرٌ) خبر مبتدؤه محذوف مع حرف (الفاء)، تقديره: (فذلك خيرٌ).

ويحذف كذلك الخبر من صدر الكلام، كما في قراءة " **أبي عبد الرحمن** ": (فجزاءٌ مثل)؛ فجزاء هو المبتدأ وخبره هو المحذوف تقديره: (فعليه أنْ يجزى مثل ما قتل).

[1]– أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج.9، ص.486.

واِحتوي "**المحتسب**" على العديد من مواطن حذف المضاف والمضاف إليه، وقال" **ابن جني** " عن المضاف: "وقد حذف المضاف، وذلك كثير واسع"[1]، وعلى هذا وجَّه كثيرا من القراءات، منها قراءة " **الحسن** ": (اتخذوا إيمانهم) بكسر الهمزة، فالمضاف محذوف، والتّقدير: اتّخذوا إظهار إيمانهم، واِشترط أغلب النحاة على هذا النوع من الحذف، أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف، حتّى لا يكون هناك لبس في الكلام، وفساد في المعنى[2].

ولقد حذف المضاف إليه، نحو قراءة " **ابن يعمر**" و"**الجارود**" وآخرين، ووجّه "**ابن جني**" القراءة على أنّ كلّ من: (قبل) و(دبر) مضاف والمضاف إليه محذوف، تقديره: (من قبله) و(من دبره)، وتصنّف هذه الحالة ضمن الحالات الجائزة في اللغة لحذف المضاف إليه؛ لوروده بعد ألفاظ الغايات[3]، وفي قراءة "**ابن أبي إسحاق**" و"**إبراهيم بن أبي بكير**"، ذكرت الصفة (عاصف) للدلالة على الموصوف المحذوف، تقديره: في يوم ريح عاصف.

نستطيع أن نقول وبعد رصدنا المختصر لظاهرة الحذف، أنّها إسقاط عنصر من عناصر التركيب، مع الإبقاء على قرينة تدلّ عليه، وتشير إليه، وعادة ما يلجأ إلى الحذف لغاية التخفيف، وتسليط الضوء على المذكور والاهتمام به.

لفت نظر "**ابن جني**" ظاهرة نحوية أخرى؛ وهي التقديم والتأخير، وقد خرّج قراءات شاذة على هذه المسألة، وأوردنا منها قراءة "**أنس بن مالك**": (كشجرة طيبة ثابت أصلها)؛ فالمبتدأ (أصل) تأخر عن خبره (ثابت)، وجاء هذا التقديم للخبر لغرض التعجيل في الكشف عن هويته والعناية به، وتبقى هذه الظاهرة، عبارة عن تغيير في الأماكن بين المفردات، مع احتفاظ كل واحدة بهمتها على مستوى الإسناد، كما يحتاج إلى دقة وتدقيق في النظر، تجنّبا لحدوث أيّ تغيير للمعنى.

---

[1]– ابن جني، الخصائص، ج.2، ص.362.

[2]– ينظر ابن قيِّم الجوزيّة، بدائع الفوائد، ج.3، (د. ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص.24.

[3]– ينظر طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، (د. ط)، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998، ص، ص.239، 240.

وذكرنا قراءة "**الأعرج**" و"**الشعبي**" وآخرين: (شهادةٌ بينكم) رفع، وقراءة الأعرج –بخلاف– :(شهادةً بينكم) نصب، وقد استعان "**أبو الفتح**" بها لإبراز الفارق في الدلالة، نتيجة اختلاف الحركة الإعرابية، وهو هنا يفضّل قراءة الجماعة: (شهادةَ الله) بالإضافة، لأنه الأشرف والأفخم مقارنة بالقراءات الأخرى.

إنّ الدلالة النحوية تستمد قوتها من عناصر الجملة، والعلاقات القائمة بين أطرافها، وما نقلناه هنا عن "**أبي الفتح**"، يمثّل دقّته الشديدة في تناول الموضوعات النحوية، فله ذخيرة كبيرة من هذه المادة، استعان بها عند تناوله لمختلف ظواهر اللّغة.

وختام القول إنّ "**ابن جني**" صنع من القراءات الشاذة، بعدما كانت مهملة، مصنّفا ضخما، كما يعتبر جهدا علميا يخدم لغة القرآن الكريم، والبحث في مجمله قد أبرز شخصيته ومنهجه، كما كشف تميّزه عن غيره في توجيه القراءات الشاذة؛ من الناحية الصرفية والنحوية والصوتية، فقد دلّت تحليلاته لها وتعقيباته عليها عن تمتعه بذوق لغوي عالٍ.

خاتمـــــة

توصلنا بعد هذه الرحلة العلمية في تقفي آثار البحث الدلالي عند "**ابن جني**" من خلال مؤلفه "**المحتسب**"، إلى جملة من النتائج، نوردها كالآتي:

- سبق علماء العرب القدامى، علماء الغرب، في إشارتهم للدلالة من خلال قضية "**اللفظ والمعنى**"، إذ تزامن البحث الدلالي عند العرب ونزول القرآن الكريم، في حين الغرب عرفوها عند ظهور الدرس اللّساني الحديث.
- علم الدلالة عند العرب جاء على مراحل متتابعة، وكل مرحلة عبدت الطريق للاحقة، حتى صار علما قائما بذاته، وكانت مؤلفات: "**الجرجاني**" و"**سيبويه**"، و"**الجرجاني**" و"**ابن جني**"... وغيرهم، في صدارة الأعمال اللغوية الضخمة.
- الحقيقة التي يجب أن نتوقف عندها أنّ "**ابن جني**" قد توصل إلى قضايا جد هامة في الدلالة.
- شكلت القراءات القرآنية، محطّ أنظار الباحثين، لِاعتبارها الأصل لبناء قواعد اللّسان العربي، سواء كانت متواترة، أو شاذة، وكل واحدة كان لها أثر في إثراء اللغة العربية.
- اِتسمت بعض القراءات بالشذوذ، كونها فقدت عنصر من عناصر الصحة والسلامة، وقد وضع العلماء ضوابط للتفريق بينها وبين القراءات المتواترة، وهذه الضوابط تتمثل في: موافقة القراءة لوجه من وجوه العربية، وموافقتها لإحدى المصاحف العثمانية، وأخيرا صحة سندها.
- حاول "**أبو الفتح**" توجيه الكثير من الأنماط الدلالية في القراءات الشاذة، فأنتج كل من الدلالة الصوتية، والنحوية، والصرفية؛ وبهذا أحدث تفاعلا بين شتى علوم اللّغة؛ وقد ناقش في الدلالة الصوتية كل ما هو مرتبط بالأصوات ووظائفها، أما في الصرفية أثبت أن الأوزان الصرفية تحمل قيمة دلالية، في حين النحوية أبرز أن الظواهر النحوية تسعى دوما إلى تحقيق المعنى.

وفي الختام، نرجو أن نكون قد وفّقنا في لمِّ شمل هذا الموضوع، من خلال عملنا والذي يظل مجرّد محاولة متواضعة، كما نتمنّى أن يستفيد منه كلّ من اِطّلع عليه ولو بالقليل. ونسأل العليّ القدير أن يكلّل جهودنا بالتوفيق، فالكمال لله وحده، فإن وفّقنا فبفضله، وإن أخفقنا فمن أنفسنا.

وآخر دعوانا ألاّ يؤاخذنا إذا قصّرنا، ويؤتينا من العلم ما ينفعنا.

والحمد لله رب العالمين، عليه توكلنا وبه نستعين.

تّم بحمد الله.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

- **المعاجم:**

1- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج.4، ط.4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/1987م.

2-أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللّغة، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.2، (د. ط)، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

3-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح. جماعة من العلماء، ط.1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ/1983م.

4- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح. محمّد نعيم العرقسوسي، ط.8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1426هـ/2005م.

5- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة،ج.9، تح. محمد عوض مرعب، ط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

6-محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج.3، ط.3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

- **الكتــب:**

- **إبراهيم أنيس:**

1-دلالة الألفاظ، ط.3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م.

- **ابن قيِّم الجوزيّة:**

2- بدائع الفوائد، ج.3، (د. ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

- **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:**

3- المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، ج.2، ط.1، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1415هـ/1994م.

- **أبو الفتح عثمان ابن جني:**

4- الخصائص، تح. محمد علي النجار، ج.1+ ج.2+ ج.3، ط.2، دار الكتب العلمية، 1952م.

5-سرّ صناعة الإعراب، تح. أحمد رشدي شحاته عامر ومحمد فارس، ج.1، ط.1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1421هـ/2000م.

6-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج.1 + ج.2، (د. ط)، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ/1999م.

- **أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه:**

7- الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.1، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م.

8- الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.4، ط.2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ/1982م.

- **أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني:**

9-دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، ط.3، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، 1413هـ/1992م.

- **أبو جعفر النّحّاس:**

10- إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه, عبد المنعم خليل إبراهيم، ج.3، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.

- **أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي:**

11- البحر المحيط في التفسير، تح. صدقي محمد جميل، ج.6 + ج.9، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

- **أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي:**

12- البحر المحيط في أصول الفقه، ج.2، ط.1، دار الكتبي، 1414هـ/1994م.

13- البرهان في علوم القرآن، ج.1، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان،1376هـ/1957م.

- **أبو عبيد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه:**

14- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985م.

15- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (د. ط)، مكتبة المتبني، القاهرة، (د.ت).

- **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:**

16- البيان والتبيين، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.1، ط.7، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1418هـ/1998م.

17- كتاب الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.1، ط.2، الناشر مصطفى البابي الحلبي، 1384هـ/1965م.

- **أحمد أحمد بدوي:**

18- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت)،

- **أحمد مختار عمر:**

19- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط.6، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.

20- علم الدِّلالةُ، (د. ط)، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت).

- **بدر الدين عبد الكريم أحمد محمد:**

21- علم الاحتجاج للقراءات من عصر التنزيل إلى عصر التدوين، بحث علمي، كلية الدعوى وأصول الحديث، جامعة أم القرى، موقع مكتبتي uqu.edu.sa.

- **جلال الدين السيوطي:**

22- الإتقان في علوم القرآن، ج.1، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ت).

23- الأشباه والنظائر في النحو، ج.3 ، تح. إبراهيم محمد عبد الله وآخرون، (د. ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ/1987م.

24- الاقتراح في أصول النحو، تح. عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، ط.2، دار البيروتي، دمشق، 1427هـ/2006م.

- **حازم الحليّ:**

25- أثر المحتسب في الدراسات النحوية، (د. ط)، المكتبة الأدبية المختصة، (د.ت).

- **الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري:**

26- تقريب النشر في القراءات العشر، تح. عبد الله محمد الخليلي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

27- غاية النهاية في طبقات القراء، تح. برجستراسر، ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.

28- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1420هـ/1999م.

29- النشر في القراءات العشر، تح. علي محمد الضباع، ج.1، (د. ط)، المطبعة التجارية الكبرى، (د.ت).

- **الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السِّيرافي:**

30- شرح كتاب سيبويه، تح. أحمد حسن مهدلي، علي سيِّد علي، ج.1، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م.

- **حمدي سلطان حسن أحمد العدوي:**

31- القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، مج.1، تقديم محمد حسن جبل، سامي عبد الفتاح، ط.1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1427هـ .2006م.

- **خالد محمد عيال سلمان:**

32- أثر المحتسب في الدراسات الصرفية، ط.1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

- **خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي:**

33- الأعلام قاموس تراجم، ج،4، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986.

- **رجب عبد الجواد إبراهيم:**

34- دراسات في الدّلالة والمعجم، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

- **سعيد الأفغاني:**

35- في أصول النحو، (د. ط)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.

- **شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي:**

36- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح. طيار آلتي قولاج، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1395هـ/1975م.

- **صالح سليم عبد القادر الفاخري:**

37- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، (د. ط)، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.

- **طاهر سليمان حمودة:**

38- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، (د. ط)، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998.

- **عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني:**

39- مباحث في علم القراءات، ط.1، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 1432هـ/2011م.

- **عبد العليِّ المسئول:**

40- القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ط.1، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، السعودية، 1429هـ/2008م.

- **عبد الفتاح القاضي:**

41- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب،(د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.

- **عبد اللطيف محمد الخطيب:**

42- المستقصى علم التصريف، ج.2، ط.1، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1424هـ/2003م.

- **فايز الداية:**

43- علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، ط.2، دار الفكر، دمشق، 1417هـ/1996م.

- **فتح الله أحمد سليمان:**

44- مدخل إلى علم الدلالة، ط.1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1412هـ/1991م.

- **محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون:**

45- مقدمات في علم القراءات، ط.1، دار عمار، عمان، الأردن، 1422هـ/ 2001م.

- **محمد سالم محيسن:**

46- القراءات وأثرها في العلوم العربية، ج.1، ط.1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1404هـ/ 1984م.

- **محمود عكاشة:**

47- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ط.2، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011م.

- **منقور عبد الجليل:**

48- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، (د. ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ت).

- **نبيل بن محمد إبراهيم آل اسماعيل:**

49- علم القراءات نشأته- أطواره -أثره في العلوم الشرعية، ط.1، مكتبة التوبة، الرياض،1421هـ/ 2000م.

- **الرسائل الجامعية:**

- **محمود صلاح محمد فروخ:**

1-القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م.

- **نادية معاتقي:**

2-إسهام الدّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015م.

الفهرس

المحتوى **الصفحة**

شكر وتقدير وعرفان

مقدمة.....**أ-ت**

الفصل الأول: مدخل إلى علم الدلالة، النشأة والمفهوم

1- نشـــأة علم الدلالـــة والتعريف به: **5**

1-1- النشـــأة:..... 5

1-2-مفهوم علم الدّلالـــــة:.....11

2-الدلالـــة عند العرب القدامـــى: 13

1-أبـــو عثمـــان الجاحـــظ (ت 255هـ): 13

2-سيبـــويـــــــه (ت 180هـ): 16

3-عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): 18

3-أنواع الدلالات عـــند اِبـن جـــني:.....**23**

الفصل الثاني:القراءات القرآنية الشاذة؛ أنواعها وضوابطها......**33**

1-القراءات القرآنية؛ نشـأتها وشروط الاحتجـاج بها:.....**34**

1-1- تعريف القراءات القرآنية:.....34

1-2-نشأة القراءات القرآنية: 35

1-3- أركان القراءات:.....38

1-4- القرّاء العشرةوروّائهم: 40

2-القراءات القرآنية الشاذة: 43

2-1- تعريفها: 43

2-2- نشأتها: 45

2-3- أنواعـــها: 46

2-4-فائدتـــــها: 46

2-5-التعريف بالـقرّاء الأربعة: 48

1-ابن محيصن(ت 123هـ): 48

2-اليزيدي(ت 202 هـ): 48

3-الحسن البصري(ت 110هـ): 49

4-الأعمش(ت 148هـ): 49

2-6- موقف العلـماء من القراءات الشاذة: 49

1-**جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ):** 50

2- المبـرد (تـ285هـ): 53

3-ابن خالويه (تـ370هـ): 55

3- الاحتجاج بالقراءات الشاذّة: 59

3-1-تعريف الاحتجاج: 59

3-2-نشأة علم الاحتجاج: 60

3-3-القراءات الشاذّة عند "ابن جني": 62

الفصل الثالث (التطبيقي):الظواهرالدّلاليةفيالمحتسب **67**

1- التعريف بالكتاب: 68

1-1- دوافع وضع "المحتسب": 69

1-2- موضوع ومنهج الكتاب: 70

1-3- مصادره: 71

2- المباحث الدلالية في المحتسب: 71

- **الدلالة الصوتية:** 71
- **الدلالة الصرفية:** 77
- **الدلالة النحوية:** 84

خاتمة 96

قائمة المصادر والمراجع 99

الفهرس

البحث الدلالي عند ابن جني كتاب المحتسب أنموذجا.

- دراسة وصفية تحليلية -

الملخص:

يدرس هذا البحث جانب من جوانب اللغة – جانب الدلالة– عند أهم عالم من علماء العرب " **ابن جني** " من خلال مؤلفه " **المحتسب** "، حيث حاولنا اِستنطاق مدونته هذه، والتي ألّفها عند بلوغه قمّة النّضج العلمي، وقد أثبت من خلاله أنّ القراءات الشاذّة تصلح هي الأخرى، لبناء قواعد اللغة العربية.

تناول أصناف الدلالات: "صوتية، صرفية، نحوية"، فجمع بين علوم اللغة، بنسيج جدّ متكامل، وبكفاءة لغوية عالية.

وقد أنجزنا هذا البحث اعتمادا على خطة مكونة من: مقدمة، وثلاثة فصول؛ حيث تناول الفصل الأول علم الدلالة، من عدة نواحي (النشأة، المفهوم...)، أما الفصل الثاني فيخصّ القراءات القرآنية، وبالضّبط الشاذّة، وفيه قمنا بتعريف بعض المفاهيم، أما الفصل الثالث فهو تطبيقي؛ تطرقنا فيه لتحليل عيّنات من القراءات الشاذّة والمأخوذة من " **المحتسب** " بجزأيه.

وكانت الخاتمة عبارة عن نقاط لأهمّ ما مرّرنا به خلال هذه المسيرة العلمية.

الكلمات المفتاحية:

البحث الدلالي، الظواهر الدلالية، ابن جني، المحتسب.